جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

أدب السخرية
فى كتاب زهر الآداب وثمر الألباب
للحصري القيرواني"ت ٤٥٣هـ "

دراسة تحليلية نقدية

الدكتورة

وجيهة محمد المكاوي

أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بمدينة السادات ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب السخرية فى كتاب زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني"ت ٤٥٣هـ "دراسة تحليلية نقدية

وجيهة محمد المكاوي

قسم الأدب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Drwageha12@gmail.com

الملخص

إن السخرية مسلك إنساني متعدد الأغراض إما للدعابة او الاستهانة بالمسخور منه أو نوع من التظرف والملح لاستئناس المخاطب ونشر الفكاهة .. وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب من الكتب الأدبية المنطوية على مواد منوعة من نحو وتاريخ وقصص وشعر ونثر أعد بناء على طلب أبي الفضل العباس بن سليمان إذ أراد كتابا حاويا للطريف والظريف، فأعده الحصري وهو من أشهر أدباء عصره وأوسعهم فكرا وأقدرهم علما وشاعرا ناقدا مجيدا.. وأثبت فيه ما ملح وجد من أقوال السابقين وقص فيه من أخبارهم ومواقفهم وقد تخيرت بعض الأقوال المنتمية للسخرية وقمت بعرضها وتحليلها وما كان منها مشهورا اكتفيت بعرضه أو الإشارة له.

الكلمات المفتاحية : السخرية ، زهر الآداب ، ثمر الألباب ، الحصري .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The literature of irony in the book The Flower of Arts and the Fruit of the Mind For exclusive critical analytical study

Wagehh Mohammed Al mikaWY

A.M.Literature and Criticism, Al Azhar University, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls ,Sadat .

Email: Drwageha12@gmail.com

Abstract

Sarcasm is a multi-purpose human conduct, either for humor or belittling the one who is ridiculed of it, or a kind of sarcasm and salt in order to domesticate the addressee and spread humor.. and the book Blossom of Letters and the Fruit of the Mind is a literary book that contains a variety of materials such as grammar, history, stories, poetry and prose prepared at the request of Abi Al-Fadl Al-Abbas bin Suleiman If he wanted a book that contained the funny and the funny, so Al-Husari prepared it, and he is one of the most famous writers of his time, the most expansive in thought, the most valuable of them in knowledge, and a glorious critical poet. displaying it or referring to it.

Keywords: sarcasm, the flower of literature, the fruit of the heart, the exclusive..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

" زهر الآداب وثمر الألباب" لأبي إسحاق إبراهيم بن علـــى الحُصْـــري القيروانى المتوفى ٤١٣هـــ من الكتب الهامة التى تشغل الساحة الأدبية.

وقد عرف العربي بظرفه وملاحة رده وكأنه يستعيض بطرافة الرد عن خشونة الحياة وصعوبتها، فهو يسخر مما يسيئه من إنســـان، أو تصـــرف أومشهد مرئي وكتب التراث لا تزال ملأى بمخزون ثقـــافي ، وإرث أدائـــي فهي تفصح عن نفسها الهوينى إفصاحًا يدل على براعـــة العربـــي، وتوقـــد قريحته، وثراء طرق أدائه، وكتاب "الحُصْري" ضم كثيرًا من الفنون وعديدًا من الآداب، فاقتصرت على السخرية عنده فأوردت النصوص ثـــم تناولتهـــا بالتعقيب تبعًا لما حواه كل نص من أفكار، عرضها الحُصْري مكســـوة فـــي ألفاظ ، والكتاب يعج بأفانين أدبية منوعة، والسخرية فيه متناثرة لم تختص بجزء، ولم يفرد لها حيزًا ربما استجابة لمنهج المؤلفين في مؤلفاتهم آنذاك من إثبات الطرائف والأخبار والمعلومات في أعمـــالهم – غالبًـــا – إذا مـــا صادفوها أو أحاطوا بها علمًا، لذا قد تتناثر في ثنايا المصنفات، وقد تحصر في موضع واحد؛ وحينما تحصر في موضع واحد لا يعد ذلـــك دليـــل علـــى الفراغ منها بل قد تتسرب فنية بعد أخرى إلي بعض المواقف.

والسخرية وردت في الشعر والنثر، في أنماط متعددة ووفـــق حـــالات مختلفة وقيدتها بلفظ " حالة " لإنها تولدت فى موقف تمخضت عنه، ولـــيس كل الحالات ولا كل المواقف تُولِد سخريةٍ، ومن أنماطها، سخرية من العيوب الجسمانية، أو من الأشياء أو المواقف ...وقد جمعها الحصـــري وضـــمنها كتابه سواء نسبت لمعاصريه أو لسابقيه .. وفي عرضي للمنتخبات راعيـــت

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تسليط الضوء على بعض النقاط التي رأيتها هامة، وأغفلت ذكر أخرى هربًا من الإملال، وإيثارًا للإيجاز

وقد رأيت أن فصل الدراسة الموضوعية عن الدراسة الفنيـــة سيضـــر بالبحث –فالأجدى من وجهة نظري – ذكر المنجز الأدبي مشفوعًا بالدراسة الفنية

وقد سار البحث على النحو التالي :

توطـــــــئة: التعريف بالكتاب والكاتب

المبحث الأول: السخرية

المبحث الثاني : أنماط السخرية فى الشعر

المبحث الثالث :

١- أنماط السخرية فى النثر

٢-نموذج الألفاظ والصور الساخرة فى الشعر والنثر

الخاتمة : وتشمل .. النتائج

أهم المصادر والمراجع

توطـئة : الكتاب والكاتب [١]

كتاب "زهر الآداب وثمر الألباب" يقع في أربعة أجـزاء، وهـو كتـاب جامع لكثير من الفنون، أثبت فيه الحُصْري الكثير مما اشتهر قبل عصـره، كذلك قيد فيه بعض ما شاع فى عصره، واشتهر بين المتأدبين فهو كاف لكل راغب في الاطلاع على أفانين القول، وأعاجيـب الأحـداث؛ إذ إنـه(بـين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت محمودة في عصره) [٢] والكتاب ضم أفانين كثيرة ما بين حديث عن الشخصيات، أو قص روايات أو حكي أحداث ،... إلخ

والجزء الأول .. نجده قد بدأه تحت عنوان – إن من البيان لسحرا – وفيه عرض قصة عمرو بن الأهتم [٣] و والزبرقان بن بـدر[٤] بـين يـدى

---

(١) مفصل ومضبوط ومشروح بقلم د زكي مبارك ، وزاد في تفصيله وضـبطه محمـد محـي الدين عبد الحميد ، وطبعته مكتبة الجيل ١٩٧٢

(٢) زهر الآداب وثمر الآداب للحصري القيرواني تحقيق يوسف الطويـل جـــ١ دار الكتـب العلمية ط ١٩٩٧م . صـــ ٥

(٣) وعمرو بن الأهتم هو: عمرو بن سنان بن سمىّ [ابن سنان بن خالد] ابن منقر ابن عبيـد بن الحارث، والحارث هو: مقاعس بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد منـاة بـن تمـيم. وسمّى سنان الأهتم لأنّ قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فـاه. هذا قول أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. وقال غيره: بل هتم فوه يوم الكلاب الثانى، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن. وكان عمرو يلقب المكحّل لجماله، وبنو الأهتم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام. وعبد الله بن عمرو بن الأهتم هو جدّ خالد ابن صـفوان وشبيب بن شيبة. وكان يقال: الخطابة في آل عمرو، وكان شعره حللا منّشرة عند الملـوك تأخذ منه ما شاءت.وهو القائل:

ذرينى فإن البخل يا أمّ مالك...لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكنّ أخلاق الرجال تضيق

أخذه من قول بشار

ولا ضاق فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق ... ديوان بشار صـــ ١٦٥

(٤) والزبرقان: اسمه حصين بن بدر بن امرئ القيس { ابن الحارث} بن هدلة بن عوف بـن كعب بن سعيد. وسمى الزّبرقان لجماله؛ والزبرقان: القمر [قبل تمامه] وقيـل: لأنّـه كـان يزبرق عمامته، أى يصفّرها في الحرب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أنه بدأ بالعصر الإسلامي، ولم يتحدث عن العصر الجاهلي، ثم تكلم عن الشخصيات المختلفة [١] والشعراء والأمراء ، وأورد أخبارًا وأحداثًا وتراجم وختم الجزء الأول بملح أبي العيناء، وبدأ الجزء الثاني.. بأوصاف الطعام والحيوانات، ثم أبيات في موضوعات شتى ما بين وصف الليل، ووصف شخصيات وحيوانات، ووصايا ونصائح، وعرض أشعارًا مختلفة الأغراض مختلفة القائلين واختتم هذا الجزء بغزل أحد الأعراب، والجزء الثالث .. فقد بدأه بالإشارة إلي ألفاظ شائعة على نطاق واسع (نبذ لأهل العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال) وفي هذا الفصل كثرت السير وذكر المواقف، وقد أورد مقتطفات من مؤلفات قديمة واختتمه بالكلام الجيد الطبع والكلام المصنوع، والجزء الرابع .. فقد بدأه بعنوان(نماذج من الشعر الجيد) واسترسل في الحديث عن شخصيات ومواقف مختلفة ثم ختمه بعنوان (ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم)، ثم خاتمة مؤلف الكتاب.وقد أقيمت دراسات منوعة حول هذا الكتاب منها

-أسلوب الحُصري في زهر الآداب وثمر الألباب ، أ. م. د. ستار جبار رزيج ، كلية التربية / جامعة المثني ، بالعراق ، مجلة القادسية ٢٠٠٩، مج ٢، صـ ١٢٨ وما بعدها

-سردية الخبرفي كتاب زهر الآداب وثمر الألباب وذيله جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصري القيرواني (ت٤٥٣) رائد حميد البطاط ، تغريد خليل حامي ، مطبعة أمل ٢٠١٨

(١) وإن كان أكثر من الحديث عن الطالبيين ونثرهم في ثنايا الكتاب مما كان سببًا لتعليق د زكي مبارك على ذلك وأن ذلك سمت التأليف آنذاك

– شعر السخرية فى العصر العباسي الثاني موضوعاته وقيمه الفنيـــة رسالة دكتوراة إسماعيل محمود محمد محمد ،ج القاهرة إشراف – الســيد على حسن عثمان عبد الرحمن ٢٠٠٠

–التلقي عند الحصري القيرواني في كتابه (زهر الآداب وثمر الألباب) الكاتب : بوكردوح ياسمين . جودي ليلى مجلة إشكالات فى اللغة والأدب

– السخرية في الأدب العربي د نعمان أحمــد طــه أمــين طبــع دار التوفيقية.

– السخرية فى الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، عبد الخالق عبد الله عودة ، الأردن٢ ١٩٨

والكتاب قارب على الألفي صفحة بأجزائه الأربعة، تناثرت فيه الأخبار والأشعار والأساليب، وهو يقول في المقدمة عن تأليفه الكتاب " وبعد؛ فهذا كتاب اخترت فيه قطعة كاملة من البلاغات فى الشعر والخبــر، والفصــول والفقر، مما حسن لفظه ومعناه، واستدلّ بفحواه على مغزاه، ولم يكن شاردا حوشيّا، ولا ساقطا سوقيّا، بل كان جميع ما فيه، من ألفاظه ومعانيه، كمــا قال البحترى :

فى نظام من البلاغة ما شـــ ... كّ امرؤ أنّه نظام فريد
حُزْن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنّبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فـأدرك ... ن به غاية المـراد البعيد

ولم أذهب في هذا الاختيار إلى مطولات الأخبار، كأحاديــث صعصــعة ابن صوحان، وخالد بن صفوان، ونظائرهما؛ إذ كانت هــذه أجمــل لفظــا، وأسهل حفظا، وهو كتاب يتصرّف الناظر فيه من نثره إلى شعره، ومطبوعه إلى مصنوعه، ومحاورته إلى مفاخرته، ومناقلته إلى مســاجلته، وخطابــه المبهت إلى جوابه المسكت، وتشبيهاته المصيبة إلى اختراعاتــه الغريبــة،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة، وجدّه المعجب إلى هزله المطرب، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع.(١)

والكتاب قد طبع عدة مرات، وتصدى له محققون مختلفون، كما قام بتحقيق الكتاب د/ "يوسف على طويل" وقد اخترت هذه النسخة، واطلعت على الإصدارات الأُخَرْى وقد أبدى "د يوسف على طويل" رأيه فى عمل الكتاب والكاتب حين قال فى مقدمته : " كتاب «جمع كلّ غريبة»، بل خزانة من خزائن الأدب العربي، عامرة بأخبار الأدب والأدباء، حافلة بألوان البلاغة والشعر والإنشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه "أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني" في القرن الخامس الهجري، ويبين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت محمودة في عصره؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب مرجعًا رئيسًا شاملًا (٢) .

ولذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص، أظهر سماته إجادة الوصف وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار، بل وصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية، وصفا مفصلا مقصودا، حتى أصبح العصر غنيا إلى درجة مميزة بالتعابير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف.. يرافقها تنظيم كامل للأفكار، مما يعوّد القاريء تذوّق الأسلوب البديع ويحبب إليه النثر الجيد بأصوله الفنية، وإذا قسنا أعمال أدباء ذلك العصر بالمقاييس العصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة (الفن للفن) .. فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها

(١) زهر الآداب صـ ٥

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب تحقيق يوسف الطويل جـ١ دار الكتب العلمية ط ١٩٩٧م .

وطرائق تعبيرها، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل"

ومن أسباب تأليفه للكتاب أنَّ "أبا الفضل العباس بن سليمان" رغب في كتاب يضم الطريف والطرائف، وقصد الحُصْري لما شاع عنه من شغفه بالأدب، وعقله بكل شاردة وواردة فيه فهو موسوعة، لذا كان أبو الفضل واثقًا أنه سيجد عنده بغيته ويلقى مبتغاه، "إذ كان أبو الفضل المذكور شديد الميل إلي الأدب، ينفق عمره وماله في جمع الكتب، وقد رحل في طلبها إلي المشرق، فسارع الحُصري إلى مراد أبي الفضل، منطلقًا في الوقت نفسه من شغفه بمثل هذه الموضوعات، وهكذا شجعه هذا الرجل على تحقيق ما كان يصبو إليه، فأبصر كتابه النور" (١)

وقد حفل الكتاب بالكلام عن الشخصيات والأوضاع والطباع وإن كان أكثره نقل كلام معاصريه، حتى إن "ابن بسام" قال: "عارض أبا بحر الجاحظ بكتابه الذي وسمه " بزهر الآداب وثمر الألباب " فلعمري ما قَصُر مداه، ولا قصَّرت خطاه ولولا أنه شغل أكثر أجزائه وأنحائه، ومرج يحبو حِمَى أرضه وسمائه، بكلام أهل العصر دون كلام العرب، لكان كتاب الأدب، لا ينازعه ذلك إلا من ضاق عنه الأمد وأعمى بصيرته الحسد (٢)

وقد يبرر الحُصْري ذلك حين قال إنه رغب عن المشهور من كلام السابقين؛ لأن كثرة استعماله ابتذلته، ولأن الذهن يعلق بأول وارد حين قال : "وقد رغبت في التجافي عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوب الذى ذهبت إليه، والنحو الذى عوّلت عليه؛ لأن أوّل ما يقرع الآذان، أدعى

(١) كشف الظنون حاجي خليفة صـ ٩٥٧، وفيات الأعيان ج ١، صـ ٥٥
(٢) الذخيرة ق ٤ صـ ٥٨٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إلى الاستحسان، مما مجّته النفوس لطول تكراره، ولفظته العقول لكثرة استمراره؛ فوجدت ذلك يتعذّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتّسع ؛ " ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛ (١)

ثم أخذ يبرر لما أخذ في إثبات أقوال معاصريه ممن لحقهم أو قارب زمنه زمانهم قائلا" وإن كنت قد استدركت على كثير ممن سبقني إلى مثل ما جريت إليه، واقتصرت في هذا الكتاب عليه، لملح أوردتها كنوافث السحر، وفقر نظمتها كالغنى بعد الفقر من ألفاظ أهل العصر ، في محلول النثر ومعقود الشعر"، ويشير إلى مزية منتقياته " وفيهم من أدركته بعمري، أو لحقه أهل دهري، ولهم من لطائف الابتداع وتوليدات الاختراع أبكار لم تفترعها الأسماع، يصبو إليها القلب والطّرف، ويقطر منها ماء الملاحة والظّرف، وتمتزج بأجزاء النفس، وتسترجع نافر الأنس، تخلّلت تضاعيفه، ووشّحت تأليفه، وطرّزت ديباجه، ورصّعت تاجه، ونظمت عقوده ورقمت برُوده؛ فنورها يرفّ، ونورها يشفّ، فى روض من الكلم مونق، ورونق من الحكم مشرق ومن ذلك ما جاء شعرا مؤكدا على هذه المنتقيات :

صفا ونفى عنه القذى فكأنه ... إذا ما استشفّته العيون مصعّد

فهو كما قلت :

بديع نثر رقّ حتّى غدا ... يجرى مع الرّوح كما تجرى
من مذهب الوشي على وجهه ... ديباجة ليست من الشعر
كزهرة الدنيا وقد أقبلت ... ترود في رونقها النّضر
أو كالنسيم الغض غبّ الحيا ... يختال في أردية الفجر

(١) زهر الآداب صـ ١٥

وقال عن مؤلفه إنه بذل فيه جهد الانتقاء والانتخاب " ولعل في كثير مما تركت ما هو أجود من قليل مما أدركت؛ إذ كان اقتصارا من كلّ على بعض، ومن فيض على بَرْضٍ؛ ولكنى اجتهدت في اختيار ما وجدت، وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات، ويمرّ البيت في خلال الأبيات، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات، يتمّ بها المعنى المراد، وليست مما يستجاد، ويبعث عليها فرط الضرورة إليها فى إصلاح خلل".

وعلل لما امتنع عن إيراد قول السابقين فهو ينتقل من موضوع إلى آخر بما يشبه "القفزات المتقهقرة " فقد يتحدث عن أشعار ثم يسترسل ناثرًا أخبارًا ثم يتحدث عن أساليب بلاغية مفضلاً بعضها على بعض أو عارضًا لنماذج منوَّعة ثم يعاود الحديث عن شخصية، أورد نتفًا من أخبارها قبلاً ، لذا فهو غير منتظم في عرض موضوعاته ولا مبوبها، وإنما يتصرف كما يقول عنه الشيخ سيد المرصفي[١] " فهو لا يحفل بترتيب المسائل ولا بتبويب الموضوعات، وإنما يتصرف من الجد إلي الهزل ومن الأوصاف إلي التشبيهات، ومن الشعر إلي النثر، ومن المطبوع إلى المصنوع، وهذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف وإن عابها من لا يفرق بين الموضوعات العلمية والموضوعات الأدبية .

وأرى أن هذا اتباع للنهج القائم آنذاك؛ وهو يدل على مزية عظمى آلا وهي أن هؤلاء الأول كانوا موسوعي الثقافة، متشعبي المعارف، فالتأليف أو إثبات المعلومات التي حوتها عقولهم كانت تنثال على يراعهم بلا توقف، ولا التقاط أنفاس لمعاودة النظر لإيجاد رابط، إضافة إلي أنَّه – بالتعبير المعاصر– (غياب المنهج = منهج) كفن تنظيم الأثاث – الديكور –

(١) زهر الآداب صـ ١٤-١٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إذ من أنواعه الجميلة " ألا تنظيم " وإرسال الأشياء المتجانسة كيفما اتفق، والكتاب له من اسمه نصيب، فكما أن للزهر أشكالاً وألوانًا وروائح فالكتاب لفَّ أنواعًا أدبية متعددة، وأخبارًا متنوعة بين الجد والهزل حتى قيل إنه (جمع كل غريبة) (١)

وربما يرجع ذلك إلى أن العصر كان مليئًا بالاهتمامات الأدبية، لما شاع فيه من التأنق اللغوي حتى –إن صح القول – كانت تسرد فيه الأخبار للإمتاع – الفن للفن وكانوا يتأنقون في عرض الآداب، وقد أثنى عليه د/ "زكى مبارك" أنه يهتم ببراعة المقطع وحسن الختام فقد بدأ كتابه بقوله :

"الحمد لله الذى اختص الإنسان بفضيلة البيان، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، المرسل بالنور المبين والكتاب المستبين، الذي تحدَّى الخلق أن يأتوا بمثله، فعجزوا عنه، وأقروا بفضله، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا ... ويختمه بهذه العبارة " وقال ابن الأعرابي أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس:

أخذت بحبل من حبال محمدٍ أمنت به من طارق الحدثان

إضافة إلى أنه يعنى عناية خاصة بذكر الصحابة والتابعين، فينقل أخبارهم ويدون آثارهم، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية في ذلك الحين(٢)

وفى الكتاب سخرية وظرف إذ أورد نماذج في النثر والشعر، قصدها الشعراء عمدًا " ليصبوا فيها من وجدانهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، وليصورا فيها مجتمعهم الحافل بالمتناقضات المليء بالمتقابلات، الزاخر

(١) زهر الآداب صـ ١٥
(٢) زهر الآداب صـ١٤

بالتيارات إلي أبعد الحدود حتى إنه لم يكن هناك غرض شعري لديه القدرة على استيعاب هذه المتناقضات وتمثل هذه المتقابلات والتعبير عن هذه التيارات أفضل من شعر السخرية، هذا الغرض البكر الشاب الذى حمل كل هذه الصنوف، بجوانبها المتكاملة، وموضوعاتها المتسعة وأهدافها المتعددة"(١)

مكانة الكتاب : امتدح الكاتب الكتاب بنفسه وأثنى عليه ثناءً حارًا، وقد انتخب فيه مختارات ...ثم يقول عن مختاراته إن ما انتخبه وأثبته ليس هو الأجود، وإنما هو من جيد ما لمَّ وجمَّع " ولكنى اجتهدت " ثم يدعو إلي الإقبال على كتابه لفوائده الجمَّة فقد جدَّ في تأليفه إضافة إلي حسن خطه، وإن وجد القارئ به خللًا وتقصيرًا فالعذر أنه عمل بشري " فمهما تره من ذلك في هذا الاختيار، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار؛ وما أقلّ ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب، الموسوم ب «زهر الآداب، وثمر الألباب» لكنى أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار إلى فسحة الاعتذار، ويسيء بالإحسان ظنّا، لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون (٢) وقال عنه المحقق د/ "زكي مبارك" (٣) تحت عنوان قيمة زهر الآداب " كان المتقدمون يعنون بدراسة الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ وأدب الكاتب لابن قتيبة، والنوادر لأبى على القالي، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون، وعندي أن زهر الآداب أغزر مادة، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنّفات؛ لأن ذوق الحصري ذوق أدبىّ صرف، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة، والرواية، والنحو، والتصريف، إن زهر الآداب

(١) شعر السخرية في العصر العباسي الثاني موضوعاته وقيمه الفنية إسماعيل محمود محمد محمد صـ ٢٣

(٢) زهر الآداب صـ ١٦- ١٧

(٣) محمد زكى عبد السلام مبارك ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

دائرة معارف أدبية شاء الله أن تسلم من جناية الليالي، والحمد لله علـــى أن كنت الموفّق إلى إحياء هذا الأثر النفيس."

ثانيًا : الكاتب هو أبو إسحاق الحُصْري إبراهيم بن علي بـــن تمـــيم المتوفى ٤١٣ هـــ .. كان ذا بصر بالأدب، ونهم في تحصـــيله وتجميعـــه، واكتسب شهرة جعلته مقصد الرواد فيفيض بشعره وأخباره وظرفـــه علـــى القصاد، (وقد كان شباب القيروان -فيما قالوا -يجتمعون عنده ويأخـــذون عنه وكان لديهم من المكرمين)[١] وهذا من شأن المتأدبين في كـــل زمـــان ومكان إذ يحظون بمكانة سامقة بين معاصريهم – غالبًا – ومن الطبعـــي أن يكون له شعر ونثر، ومن أشعاره أورد ابن رشيق من شعره هذين البيتين :

إنى أحبك حبًّا ليس يبلغـــه .... فهمٌ ، ولا ينتهي وصفٌ إلى صِفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي ... بالعجز مِنِّى عن إدراك مَعْرفتِه [٢]

واختار له ياقوت هذه القطعة [٣]

يا هل بكيت كما بَكَتْ	ورْقُ الحمائم فى الغُصُـونِ
هتفت سُحيرا ، والربى	للقطر رافعة الجفـــون
فكأنها صاغت عَلَـــى	شَجْوَى شجي تلك اللحون
ذكَّرْنني عهدًا مضـى	للأنس منقطـــع القـرين
فتصرمت أيـــــامه	وكأنها رَجْع الجُفـــون

وأورد أيضًا :

كتمت هواك حتى عيل صبري	وأدنتني مكاتمتي لرمســي
ولم أقدر على إخفاء حـــال	يحول بها الأسى دون التأسي

(١) محمد زكى عبد السلام مبارك ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥صـــ ١٣
(٢) معجم الأدباء ج ١، صـــ٢٢٧ ،وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ ، صـــ ٥٤-٥٥
(٣) الوافى بالوفيات ، ج٦ ، صـــ٦٢

وحبك مالك لحظي ولفظـي وإظهاري وإضماري وحســي

فإن أنطق ففيك جميع نطقي وإن اسكت ففيك حديث نفسي

والحُصْري نسبة إلي صناعة الحُصر والقيروانـي نسـبة إلـي مدينـة القيروان التي خطها "عقبة بن نافع " وكان ظريفًا راقي اللفظ، وكما شـغف بالشعر جدَّ في تحصيل العلم من مسجد القيروان الملتصق بداره، وقد نبـه ذكر عائلته بعلمه، فهو ينتمي إلي عائلة خاملة الذكر، وليس كباقي البيوتات التي ولى أفرادها المناصب لكنه بعلمه لازمه شباب عصره، لصنعة شـعره وتأليفه للكتب، وحلو حديثه ، وثراء جلسته لغزارة أخباره وتنوعها، ونثـر الحُصري مميز، ونظرًا لثقافته وسعة درايته يتأنق في اللفظ، فيأتيه السجع حلية وزينة مؤديًا لمهمته من إضفاء النغم العذب بلا غلو أو إغـراق، بـل يعكس دقة الصنع ورقة الطبع، وقد أفصح بنفسه عن كتابه وعيَّن منهجـه واهتمامه بالأفكار السائدة في عصره وإثباتها، وهو يهتم بالجمال الأسـلوبي كاهتمامه بالجمال في المضمون ، وأسلوبه شعرًا أو نثرًا قطعة فنية منكفئة على فكر عميق، وهو ذو خلق يحرص على النماذج البعيدة عمـا ينافيهـا ودفعه هذا إلي إغفال ذكر المجون والماجنين، ومـع ذلـك تسـرب بعـض الأشعار والأخبار منهم وعنهم لأنها كانت منزعًا إنسانيًا قويًا يصعب الغـض عنه تمامًا .

قال عنه معاصروه ، وقد كان- كما ذكر ابن بسّام في الذخيرة- بحـر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة.والحصري متفكه إن أخذنا بتعريـف "بيرجسون" للمتفكه بأنه أخلاقي في قناع عالم، فكأنه عالم تشريح لا يشرح إلا ليثير فينا التقزز[١]

(١)- خصائص السخرية في أدب الجاحظ ، نسيمة راشد ناصر صـ١٦ ، رسالة ماجسـتير ج القاهرة ا . د سهير القلماوى ١٩٨٢م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول: السخرية

السخرية في اللغة : سَخِرَ منه وبه سَخرًا وسَخَرا ومَسْخَرا، والاسم سُخْرَةُ والسُخْرِيَّة والسُخْرَى و السِّخْرى وسُخْرِيًا ، وفلان سُخْرَةَ : ضُحْكة ، يُسْخَرُ منه، وسُخَرَة : يسخر بالناس ويضحك منه الناس ن ويضحك منهم وهو مسخرة الساخر(١)، وقد جاءت في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها " ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه "(٢) .

وفى الاصطلاح : فن تعبيري تجاوز الشكل العابث اللاهي إلي تمرير مدلولات مقصودة يعتمد الساخر فيه على آليات عدة من تصوير، ومفارقة أو تضاد في نسق باعث على الضحك قد تعكس مكرًا ودهاءً، وهي متعلقة بالإنسان فالإنسان فقط هو الضاحك – كرد فعل للسخرية– من مشهد أو حدث .. والسخرية عامة " فما من مشهد جدي بل درامي إلا في وسع الخيال أن يقلبه مضحكًا باستحضاره هذه الصورة البسيطة (٣)

تعد السخرية من أرقى أنواع الفكاهة وهى " الهزء بشيء ما لا ينسجم مع القناعة العقلية ، ولا يستقيم مع المفاهيم المنظمة في عرف الفرد والجماعة ففي كل انقطاع عن المألوف شيء ما يثير الضحك " (٤) فالسخرية تمرد على الوضع وكشفه ورفضه والتحريض عليه تحايلاً دون

---

(١) لسان العرب بن منظور م الثالث ،دار المعارف (س خ ر)

(٢) سورة هود الآية ٣٨ .

(٣) الضحك برجسون صـ ٦٥

(٤) خطاب المفارقة فى الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني نموذجًا نوال بن صالح صـ ١٧٨كلية الآداب واللغات بسكرة – الجزائر –٢٠١٢م

تصادم " والسخرية " استعمال الكلمات لنقل معنى يناقض المعنى الحرفي لها " وهى اسلوب أدبي يستعمل النقائض لإحداث أثر بلاغي أو هزلي "[١]

وتعتمد السخرية على أساليب بارعة تدخل إلي الناس مداخل شتى فتستنهض عقولهم أحيانًا، وتدغدغ مشاعرهم أحيانًا أخرى، وقد تلهو بكينوناتهم فتصبح سلاحًا متعدد الأطراف، وهذا يزيد من تأثيرها وقوة سطوتها ويوسع دائرة نشاطها [٢].

السخرية والتحفيز على الضحك مسلك خُص به الانسان شأنه شأن كثير من خواصه (فهذه عوارض نفسية يختص بها الإنسان ولا يشاركه فيها حيوان من الحيوانات السفلى أو العليا بل يعتقد الكثيرون من علماء الأجناس البشرية أن القبائل البدائية من الناس لا تضحك ولا تدرك الضحك"[٣] وقد زعم البعض أن لغتنا جادة لدرجة التجهم، وعابسة لدرجة التنفير، وهذا ليس بالحقيقي فإن من زعم " أن الشعر والنثر القديمين خاليان من الصور الفكِهَة والنوادر المستملحة وهؤلاء وأولئك واهمون متجنون على اللغة والأدب؛ لأن مدح العرب للضحك وهشاشة عظمائهم للإضحاك وحفاوة المؤلفين بالفكاهة كفيلة بنقض هذا الاتهام الجائر [٤]

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية – عربي- انجليزى ، نواف نصار دار صـ١٥٥، المعتز للنشر والتوزيع ، الأردن ط١، ٢٠١٠ ،١٤٣١.

(٢) السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، عبد الخالق عبد الله عودة عيسى صـ ١٢الدراسات العليا – الجامعة الأردنية

(٣) جحا الضاحك المضحك ، عباس العقاد صـ ٢٣

(٤) الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، د أحمد الحوفي صـ٣٤ دار نهضة مصر ١٩٦٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجاءت السخرية في الشعر القديم قال أعشى باهلة :

إنني أتتني لسانُ لا أسرُّ بها ... من عَلْوَ لا عجبُ ولا سُخر [١]

يقول الراعي : تغير قـــومي ولا أســـــخر .... وما حم من قدر يقدر

فالراعي يقر بتغير قومه عليه، ومع ذلك لا يسخر لعل هذا قدر فهو لا يكترث، ولا يلقى بالاً لذلك، فالكلمة دارت كلها في فلك الدلالة اللغوية " [٢]

وهي نشاط إنساني تمارسه الأصناف البشرية، وليست حكرًا على أحد" وما زال الأشراف يمزحون ويسمحون بما لا يقدح في أديانهم ، ولا يغـضَّ من مروءتهم ، ليس هذا فحسب بل إن الإسلام لم ينه عنه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا " ، بل التـرويح عـن الـنفس يساعد على عمق الجد

قال أبو تمام الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

الجدُّ شيمته وفيه فكـاهة سجح ولا جِـــــدّ لمن لم يَلْعَبِ

شرس ويتبع ذاك لينُ خليقةٍ لا خير في الصهباء ما لم تُقْطَبِ [٣]

والعربي يعيش في صحراء قاحلة لـذا يلجـأ الفينـة بعـد الأخـرى للاسترواح والفكاهة للتغلب على جفاف الحياة وصعوبتها بـل إنهـم كـانوا يتواصون به، ومن ذلك قول أبو الفتح البستي [٤]

---

(١) وفي الخزانة للبغدادي" أي أتاني خبر من أعلى نجد ، وقال أبو عبيدة ، أراد العالية ، أي من أعالي البلاد ،ج١، ص١٩١-١٩٢

(٢) شعر السخرية في العصر العباسي الثاني موضوعاته وقيمه الفنية صـ ٣-٤

(٣) زهر الآداب ٢٠٦ بتصرف

(٤) هو أبو الفتح على بن محمد الكاتب البستي – صاحب الطريقة الأنيقة فى التجنيس الأنيس البديع التأسيس... وكان يأتي فيه بكل طريقة لطيفة وهو شاعر وكاتب للأمير ناصر الدولة بن منصور سبكتكين ، توفي سنة ٤٠٠ هـ ، يتيمة الدهر للثعـالبي شـرح مفيـد محمـد قميحة، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ ج ٤، ٣٧٨ –

أفد طبعك المكدود بالهم راحة تجُمُ وعلَّلْهُ بشـــــيء من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكــن بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

قيمة السخرية الفنية

السخرية الأدبية فن شائك يحتاج إلى عقلية ملئت فنًا ولسـانٍ امتلـك ناصية الكلام فيخرج سخرية متخطية " جميع أنـواع البلاغـة وصـورها، وتخرج لنا صورًا بلاغية هى آية في القيمة الأدبيـة والبلاغيـة، فبلاغـة السخرية الأدبية تنظر من علو إلى غيرها من بلاغـة الأغـراض الأدبيـة المختلفة " [١]، فالأديب الساخر يحتاج إلي حس عال أي يكون سـخرية لا تنحدر إلى الإسفاف والضعة بالاستهزاء من الآخرين، مما يجلـب العـداوة والبغضاء، ويقوي الشحناء والفرقة بين الأفراد، وإنما تهـدف إلـي غايـة نفعية[٢] من مسلك أو إقرار أو قضاء وطر، أو الترويح وإشـاعة البهجـة والمرح والدعابة .

يقول د شوقي ضيف : " والسخرية ذلك الفن الأدبي الراقي لها مكانها بين سائر الألوان الأدبية، فهي أرقى الألوان الهازلة، وهي في الوقت نفسه فيها الجد وليست ممجوجة ولا تافهة إن قصد بها التقويم والإصلاح " [٣] .

إذن السخرية SARCASM استخدام الكلمات بمعنى عكـس معناهـا الصريح قصدًا للفكاهة أو الهجاء [٤]

(١) شعر السخرية في العصر العباسي الثاني موضوعاته وقيمه الفنية صـ ٨
(٢) من الغايات النفعية الترويح وإشاعة الدعابة والبهجة والمرح
(٣) الفكاهة في مصر صـ ١٠ دار المعارف ١٩٨٥ سلسلة إقرا
(٤) معجم مصطلحات الأدب صـ٨٦، مجمع اللغة العربية ، ٢٠٠٧- ١٤٢٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والسخرية لها مهمة نقدية انتقائية، فالساخر ينقد فكرة أو تصـرفًا أو شخصًا ينتقيه مما حوله، أو من بنات أفكاره، ويحمله ما يريد إيضاحه مـن مرذول التصرفات والأوضاع، داعيًا إلى التخلص منهـا بأسـلوب مضـحك ساخر، وتلك الطريقة لم تك محط اهتمام قبل ذلك استصغارًا لها وتهوينًا من شأنها، يقول د شوقي ضيف " وكنا إلي عهد قريب لا نعنى بعرض هذا الباب الفكه فى أدبنا .. وكأننا انصرفنا عنه ترفعًا منا أو استصغارًا لشأنه، مع أنه أكثر دلالة علينا وعلى نفسيتنا .. ومن الواجب أن نقرن صفحة حياتنا الجادة بصفحة حياتنا الفكهة حتى نتطلع على حقيقة حياتنًا اطلاعًا تامًا أو كاملاً "[١] وذلك لأن طلب الضحك والهزل والسخرية مطلبٌ إنساني ملحٌ يقبـل عليـه الملوك والسوقة والشرائح الإنسانية المنوعة بينهما طلبًا للترويح والترفيه، فهو مهم كالجد لكن النفس له أطلب، وعليه أقبل، وله أهش وأطلع[٢]، وكما قال صاحب زهر الآداب " وما زال الأشراف يمزحون ، ويسـمحون بمـا لا يَقْدحُ في أديانهم ، ولا يغض من مروءتهم " [٣]

والضحك نتيجة للسخرية أو التفكه، والسـخرية تفـرز فـي سـياق اقتصادي اجتماعي وتتولد من عامل نفسي إذ قد يتذكر الإنسان شـيئًا، أو يرى شيئًا أو يرغب في شيء .. ويكون أمامه منافذ كثيرة للتعبير عن ذلك؛ منها السخرية الداعية للضحك

---

(١) الفكاهة في مصر شوقي ضيف ، كتاب الهلال ١٩٥٨م

(٢) حتى إن عبيد الله ابن خاقان ، سامح أبا العيناء سخريته الظريفة أو لظرفه الساخر وقـال له " حجتـك الداحضـة بملاحتـك وظرفـك أبلـغ مـن حجـة غيـرك البالغـة وذلـك ..... زهر الآداب صـ ٩٤

(٣) زهر الآداب صـ

يعيبونني من خبثهم وضلالهم على حبك بل يسخرون وأعجب [١]

" ويكاد معظم الباحثين الذين درسوا ظاهرتي الفكاهة والضحك يجمعون على أنهما ينطويان على عنصر لهو أو لعب، باعتبار أنهما ليستا وليدتي حاجة بيولوجية ملحة كذلك يقرر عدد غير قليل من علماء النفس أنَّ للضحك والفكاهة دلالة اجتماعية واضحة نظرًا لأنهما متأثران بالوسط الاجتماعي المباشر والاطار الحضاري العام" [٢] كانت السخرية قديمًا مولده من القول أو الفعل ويغلب عليها العفوية والطبْعية دون التعمق أو الأعداد المسبق " وأول ما وردت كلمة سخرية قديمًا " ذكرت في كليلة ودمنة في أوائل العصر العباسي إذ ذكرت هذه العبارة على لسان الملك وكان يعني بها معناها الأدبي " إنك لتسخر بي يا إبلاد " [٣]

وقد تعددت أسباب السخرية وتنوعت : منها الحقد على المجتمع، وأوضاعه، أو نتيجة لفعل من المجتمع كحرمان الساخر من أحد حقوقه، وإحباطه، حساسية الساخر وقدرته على التقاط مواقف وصور مثيرة للضحك، أخذًا بالثأر فقد يتأذى أحدهم فيهدف إلي السخرية من الأَذى والإضحاك عليه، وقد تكون لمجرد الترفيه والتخلص من السآمة والملل، ولا يقصد به الإحراج، ومن أهداف السخرية تصوير ما يمر به الإنسان من سرور وحزن بشكل فكاهي ساخر، وكان الأدباء يعمدون إلي إشاعة البهجة

(١) ديوان هاشميات الكميت ، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري د نعمان محمد أمين طه صـ ٤٠-٤١- ١٩٧٩ ط التوفيقية ، ط ١

(٢) الشعر الفكاهي في مجلتي الفكاهة رسالة ماجستر شوقي إمام حسنين عبد النبي صـ ١٧ – نبيلة إبراهيم سالم ١٩٨٤

(٣) كليلة ودمنة ط١ ، دار المعارف ١٩٤٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والسخرية إما تكسبًا لقوتهم فيعمدوا لحيازة ما يجذبهم للناس ويرغبونهم فيهم، أو استجابة للطبع المواتي والفطرة المقبلة على الدعابة.

أنماط السخرية

والسخرية رحبة المجال مترامية الأطراف، من مرئيات، ومسموعات، أمور معنوية أو أشياء ملموسة، فكل الحواس قد تمد باعث السخرية بمادة خصبة، لذا اختلفوا في الباعث على السخرية من ميول انفعالية وغريزية (حصرها علماء النفس في الخوف والجنس ، والعدوان ، والإحساس بالانتصار أو التفوق)[١]، وقد تكون مفارقات يتولد منها خيبة، أو انتقال من وضعية مرغوب فيها إلي وضعية مرغوب عنها، ولأن مجالات السخرية كثيرة ومتعددة وورد نتف منها في زهر الآداب فقد عرضت لبعض الأنماط (دارت حول شخصيات – ملبوسات الطيلسان – حيوانات)، والحيوان مصاحب للإنسان القديم يقع تحت ناظريه في الحل والترحال، إما للتنقل أو الطعام أو للاستعانة – ألبانها ونواتجه ، وصوف وشعر _ أو للزينة، لذا قد يلجأ للسخرية منه أو من نفسه أو غيره في التعامل معه، كان يمتطي سمينًا أو هزيلاً أو يُهدى هزيلاً، فيبعث على السخرية ولا سيما إن كان المُهدى له صاحب لسان حاد إذ ينطلق لسانه في سخرية ضاحكة وكأنها – نكته– فتنفذ (إلي مكامن الشعور، وحيل العواطف التي تتوارى بها خلسة، أو تحاول الظهور للعيان في غير مظهرها الأصيل وهذه هي نكات الشاعرية بل نكات الملكات النفسية التي يقام لها وزن في موازين الفنون

(١) سيكولوجية الفكاهة والضحك د زكريا إبراهيم ، ١٠٨ وما بعدها بتصرف

والآداب..)[١] ولعل الاخر حينئذ قصد سوق " تعبير أو كلام يظهر تناقضًا متعمدًا بين المعنى والواقع المقصود " [٢]

والأبيات التي تنظم–غالبًا– وليدة الموقف غير معدة مسبقًا ولا مجهزة قبلاً، وتكون منكفئة على جرعات من السخرية المبنية على المفارقة لذا يجب أن تكون " محكمة التلفيق متقنة التزييف، بحيث يحتاج في إدراكها إلى فطنة ودقة فهم وإلا خرجت باردة لا طعم لها في مساغ الكلام" [٣]، لكن السخرية كثيرٌ ما تكون منكفئة على محتوى فكرى، صُبَّ في قالب فنى، وهناك علاقة بين المفارقة والسخرية " فالقول بإن السخرية نوع من المفارقة مسألة فيها نظر، كان من شروط المفارقة أن نحس بقوة المعنى الظاهر والحقيقي معًا، كانت السخرية مما لا يكاد يقع في باب المفارقة ... فنبرة الساخر تؤدي مبغاه الحقيقي بشكل لا يقبل التردد بحيث لا يغدو من الممكن التظاهر، أنه لا يعي قصده في ذلك المعنى، لكن أثر السخرية برغم ذلك يختلف عن أثر اللغة المباشرة [٤]

والسخرية إضافة للإمتاع الحسي واللذة السمعية السريعة لها أثرٌ نفسي فهي أقوى أثرًا وأبعد غورًا، وأكثر فنًا من الضحك الناتج عن طريق الفكاهة، فهي تتولد عن فكر وإمعان نظر، بخلاف الضحك الطبعي الذي يأتي عفو الخاطر بلا قصد والسخرية الأدبية عميقة متشعبة الفائدة، لذا كان

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي عباس العقاد ، في حديثه عن حفني ناصف ٢٤-٢٥

(٢) معجم المصطلحات الأدبية صـ ١٥٥

(٣) سيكولوجية الفكاهة والضحك ١٧٩

(٤) موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك ، ت ، عبد الواحد لؤلؤة بيروت ،صـ ٧٤، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العرب يقبلون عليها ويتسمون بأنواعها" ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمي أولادها بالضحاك وبسَّام وبطلق وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم ومزح وضحك الصالحون ومزحوا" (١) حتى إن الإمام عليا كان مقبلاً علي المزاح ميالًا إلى الدعابة والفكاهة وقال " أجمُّوا هذه القلوب والتمسوا لها ظرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان، والنفس مؤثرة للهوى آخذة بالهُوينى، جانحة إلي اللهو، طالبة للراحة، فإن أكرهتها أنضيتها وإن أهملتها أرديتها " (٢) والسخرية –غالبًا– هادفة إذ الضحك الساخر يوظف لتحقيقها، وقد تنفذ السخرية إلي الغرض بسلاسة وتحققه ويقصر الأدب الجاد الرزين عن ذلك .

فائدة السخرية : كانت المنافع متعددة منها المادي الذي يسد ملبيًا احتياجًا من احتياجات العوز الحياتية فإن السخرية منفعتها جمالية تحدث في النفس لذة مبنية على المفاجأة؛ إذ إنها تتعالى على أساليب النقد المتعارف عليها فيأتي الساخر للمسخور منه من جهة غير مألوفة، فينحسر النقد التقليدي مخليًا وضعه للمفاجأة فينفجر الموقف بالإضحاك، وتشيع السخرية المبهجة – غالبًا في المشهد كله .

ولا شك أن السخرية تمثل نفثة مصدور، أيًا ما كان الباعث على الضغط المتواري في القائل – فقد تكون الصوت الداخلي للساخر أراد أن يخرجه احتجاجًا أو ضحكًا أو استهزاءً بمسموع أو مرئي .

الاقتصاد في الضحك والمزاح : إن التوسط جمال الأشياء، فكلما توسط الإنسان في ممارسة مزية ما بلغ بها الفائدة المرجوة بلا إفراط أو تفريط، وهو ما توصل إليه الجاحظ وحدده من مئات السنين حين قال " وللضحك

(١) شعر السخرية في العصر العباسي الثاني ص ٢٠
(٢) العقد الفريد ج ٦ ، صـ ٣٧٩ الإنضاء " الإبلاء والإتعاب

موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار، متى جازهما أحد وقصَّر عنهما أحد صار الفاضل خطلاً والتقصير نقصًا، فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر، ولم يعيبوا المزاح إلا بقدر ومتى أُريد بالمزح النفع، وبالضحك بالشيء الذي جُعل الضحك له صار المزح جِدًا والضحك وقارًا [١]، فالمقصود هنا التوسط لنصل بالضحك إلي الغاية حتى ولو كانت الغاية الترويح عن القلوب، كما قال صلى الله عليه وسلم " روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت " وقوله " لا خير فيمن لا يُطرب " وطرق الإضحاك والترويح كثيرة قال د/محمد رجب البيومي " ويجب أن تكون رسائل الفكاهة والمزاح والضحك قائمة على النادرة الطريفة والفكاهة اللطيفة التى يتسع لها الشعر دون أن يندى لها الجبين " [٢]

فالشكل الأدبي شعرًا أو نثرًا قد ينضوي على محتوى فكري قد يكون ممتد الدلالة عميق الأثر في نفس صاحبه ونفوس المتلقين، لذا فالساخر – غالبًا– ما يزيح متاعبه الشخصية صابًا لها في قالب ضاحك يرى ويفسر ما يراه غيره، ولكنهم لا يذهبون مذهبه في التفسير فتلك المباغتة تدعم السخرية (وهذا التحول المفاجئ ينشأ عنه بدوره استخدام اللا مغزى في إدراك المغزى وهو السبب الأساسي في خلق جو المرح الضاحك)[٣]، فالسخرية والتظرف سوق لا تكسد بضاعتها فالجميع يقبل على التفكه قال الأصمعي : أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقل من رأيته :

يأيها السائل عن منزلي .... نزلت في الخان على نفسي

---

(١) البخلاء ص ٧

(٢) بين الأدب والنقد د محمد رجب البيومي صـ ٢٣٨ الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧

(٣) الشعر الفكاهي صـ ١٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يغدو عليَّ الخُبْزُ من خـــابزٍ .... لا يقبل الرَّهــن ولا يُنْسِى

آكلٌ من كيسي ومن كســرتي .... حتى لقد أوجعني ضرســي

فقال : اكتب لي هذه الأبيات : فقلت أصلحك الله هذا لا يشــبه مثلــك وإنما يروى مثل هذا الأحداث، فقال: اكتبها فالأشراف تعجــبهم الملــح "[١]، والمزاح إن كان له غاية قد يصل إليها أسرع من الوصول بالجد، ولكن فــي المطلق لا نقول إن المزاح أفضل من الجد، بل الجاحظ احترس لهذه الجزئية حين قال في رسالته "ونحن نعوذ بالله أن نجعل المزاح في الجملة كالجد في الجملة، بل نزعم أن بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير مــن عامة المزاح"[٢] وكأن المزاح نتيجة طبعية للجد ومقدمة أوليــة لــه يقــول الجاحظ : " وإنما تشاغل الناس ليفرغوا، وجدوا ليهزلوا كما تذللوا ليعــزوا وعدوا ليستريحوا "[٣].

والفكهون لا يقبلون أن يشاركهم أحد، بل إدراكًا لمــا يحــوزون فقــد ينازعون من سولت له نفسه مزاحمتهم، قال الزبير بن بكار: رئي الغاضري ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ويقول : أصلح الله الأميــر، إن هــذا يدخل عليّ في صناعتي، ويطلب مشاركتي في بضاعتي، وهيئته هيئة قاضٍ، والأمير يضحك، وكانا جميعًا فرسي رهان، ورضيعي لبان في بيانهما إلا أنَّ الغاضري(كان) لا يتخلق بالطمع تخلق أشعب[٤]، فهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على أن السخرية كانت بابًا رائجًا لكسب العيش، ونيل الاستحسان وحيازة الشهرة، فضلاً عن تقريبها لمتقنيها من ذوي السلطان والحكم .

---

(١) زهر الآداب ٢٠٢

(٢) التربيع والتدوير تح ، شارل بلات ، ط . المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٥ صـ ٦٧-٦٨

(٣) التربيع والتدوير صـ ٦٦

(٤) زهر الآداب ٢٠٢

المبحث الثاني : أنماط السخرية في الشعر

نمط سخرية سياسية: كانت السخرية متشعبة في كل النـــواحي حتـــى وصلت للسخرية من أوضاع سياسية .يقول ابن بسام في العباس بن الحسين لما وزر للمكتفي .

وزارة العباس من نحسها ... ستقلع الدولة من أسّها [١]

شبّهته لما بدا مقبـــــلا ... فى خلع يخجل من لبسها

جارية رعناء قد قدّرت ... ثياب مولاها على نفسها

رأى الشاعر أن تلك الوزارة نحسة ، فهي غير مستقيمة والاعوجـــاج من أقوى أسباب نزع الملك ، فهو سيقلع الدولة من منبعها وأسَّها ، ثم جسد سخريته منه وأنه تقلد أمرًا ليس له بأهل ولا على شاكلة، فهـــو كالجاريـــة المتسربلة بثياب مولاها ولم تراع عدم مناسبتها لهـــا شـــكلاً ولا مضـــمونًا فتخبط فيها كتخبط العباس وسوء تصرفه .

= نمط السخرية من الأشياء طيلسان ابن حرب [٢] عرض الحصـــري لطيلسان ابن حرب وهو ما هو في الشهرة من وصف الجمـــادات " الثيـــاب "بأسلوب ساخر ضاحك والحمدوني كان مقاربًا في الوجود للحصري، ولاقت أبياته في السخرية من الطيلسان المهُدى رواجًا وشهرة كبيـــرة، إذ حشـــد أشكالاً من الظرف وألوانًا من السخرية سواء أكان مبدعًا أو متبعًا، عـــلاوة

---

(١) المرجع السابق ج٣، صـــ ٧٢٥ ، أسها أس الشيء أساسه وأصله ، خُلَع : الملابـــس ، عجل : تمشي متعرجًا ، رعناء :حمقاء ، والعباس بن الحسن الجرجاني ، والماردانى من وزارة الدولة العباسية كان أديبًا بليغًا استوزرة المكتفى بعد وفاة القاسم ابن عبيد الله ٢٩٦ . الزركلي الأعلام ج ٤ ، صـــ٣٢

(٢) زهر الآداب ج/ ٢ ت يوسف على طويل صـــ ٤١٨ -٤٢٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على تضمين كثير من الأبيات الشهيرة وتوظيفها في سخريته، سواء أكان في تناص أو مفارقة فقد وظفت جيدًا في شعره.

وقال الحمدوني [١] في طيلسان ابن حرب:

ولى طيلسانٌ إن تأمّلت شخصه ... تيقنت أنّ الدهر يفنى وينقرض
تصدّع حتى قد أمنت انصداعه ... وأظهرت الأيام من عمره الغرض
كأنى لإشفاقى عليه ممرّض ... أخا سقم مما تمادى به المرض
فلو أنّ أصحاب الكلام يرونه ... لما روك فيه وادّعوا أنه عرض

وقال:

لطيلسان ابن حرب نعمة سبقت ... بها تبيّن فضلى فهو متّصل
قد كنت دهرا جهولا ثم حنّننى ... عليه خوفى من الأقوام إن جهلوا
أظل أجتنب الإخوان من حذر ... كأنما بى جرح ليس يندمل
يا طيلسانا إذا الألحاظ جلن به ... فعلن فعل سهام فيه تنتضل
لئن بليت فكم أبليت من أمم ... تترى أبادتهم أيامك الأول
وكم رآك أخ لى ثم أنشدنى: ... ودّع هريرة إن الركب مرتحل]

وقال

يا بن حرب كسوتنى طيلسانا ... أمرضته الأوجاع فهو سقيم
فإذا ما لبسته قلت: سبحا ... نك محيى العظام وهى رميم]
طيلسان له إذا هبّت الـ ... ـري ح عليه بمنكبىّ هميم
أذكرتنى بيتا لحسّان فيه ... حرق للفؤاد حين أقوم
لو يدبّ الحولىّ من ولد الذّ ... رّ عليها لأندبتها الكلوم[٢]

(١) الحمدونى : هو أبو على إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ؛ شاعر مليح الشعر ، حسن التضمين توفي عام ٦٠ ه ، المرجع السابق ٤١٨
(٢) بيت لحسان بن ثابت

وقال

يا قاتل الله ابن حرب لقد ... أطال إتعابى على عَمْـد
بطيلسان خلت أنّ البـلى ... تطلَّبه بالوتر والحِقـد
أجدّ فى رفوى له ، والبِـلَى ... يلهو به فى الهزل والجـد
ذكّرنى الجنة لما غـدا ... أصحابها منها علـى حَرْد
إن أتهم الرّقّاء فى رفـوه ... مضى به التمزيق فى نجْد
غنيته لما مضى راحـلا : ... يا واحدى تتركنى وحدى!

وقال

إنّ ابن حرب كسانى ... ثوبا يطيل انحراف
أظـلّ أدفع عنـه ... وأتّـقى كـلّ آفه
فقد تعلمت من خش ... يتى عليه الثقـافة

وقال:

طيلسان ما زال أقدم فى الدهر ... من الدهـر ما لرفويه حيله
وترى ضعفه كضعف عجـوز ... رثّة الحـال ذات فقر معيله
غمرته الرقاع فهو كمـصر ... سـكنته نزّاع كلّ قبيله
إن أزيّنه يابن حرب بذمـى ... فجرير قـد زان قبلى بجيله

جرير: ابن عبد الله البجلى، وله صحبة [رضى الله عنه] وقد قال غسان فى هجائه:

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها ... جرير لقد أخزى كليبا جريرها

وقال الحمدونى فى معناه الأول:

يابن حرب إنى أرى فى زوايا ... بيتنا مثل ما كسوت جماعه
طيلسان رفوته ورفوت الـرّ ... فو منـه حتى رفوت رقاعه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فأطاع البلى وصار خليعا ليس يعطى الرفّاء فى الرفو طاعه
فإذا ســـــائل رآنى فيه ظنّ أنى فتى من أهل الضّياعة (٢)

وقال فيه :

طيلسان لابن حـــــرب يتداعى لا مساسا (٣)
قد طوى قرنا فقـــرنا وأناســـــا فأناسا
لبس الأيـــــام حتّى لم تدع فيـــه لباسا
غـــاب تحت الحسّ حتى لا يـــــرى إلا قياسا

ولفت نظر الحُصْري كثرة تضمينات الحمدوني وأنه أجاد اســتخدامها ودمجها في إبداعه، يقول الحصري [١] فالمقطوعات على تنوعها تضــمنت كثيرً من الاقتباس لأي القرآن الكريم، أو كلمة – تترى – وتضمين لأبيــات شعرية كاملة أو أسطر منها [قال] الحُصْري: وإذ قد جرت بعض تضــمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره فــي الطيلســان، وأتعطف في غير هذا الموضع إليها وأكر عليها وكــان أحمــد بــن حــرب المهّلبي من المنعمين عليه، والمحسنين إليه، وله فيه مدائح كثيرة، فوهــب له طيلسانا أخضر لم يرضه، قال أبو العباس المبرّد: فأنشــدنا فيــه عشــر مقطعات، فاستحلينا مذهبه فيها، فجعلها فوق الخمسين؛ فطارت كل مطــار، وسارت كل مسار، فمنها:

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ملّ من صحبة الزمان وصدّا
فحسبنا نسج العناكب قد حــا ل إلى ضعف طيلسانك سدّا
طال ترداده إلــى الرّفو حتــى لو بعثنـــاه وحده لتهدّى

(١) ج ٢/ ٥٩١

وقال:

يا طيلسان ابن حرب قد هممت بأن ... تودى بجسمى كما أودى بك الزّمن
ما فيك من ملبس يغنى ولا ثمن ... قد أوهنت حيلتى أركانك الوهن
فلو ترانى لدى الرّفّاء مرتبطا ... كأننى في يديه الدهر مرتهن
أقول حين رآنى الناس ألزمه ... كأنما لى في حانوته وطن
من كان يسأل عنّا أين منزلنا ... فالأقحوانة منّا منزل قمن

وقال:

قل لابن حرب طيلسا ... نك قوم نوح منه أحدث
أفنى القرون ولم يزل ... عمّن مضى من قبل يورث
وإذا العيون لحظنه ... فكأنه باللّحظ يحرث
يودى إذا لم أرفه ... فإذا رفوت فليس يلبث
كالكلب إن تحمل عليه ... الدّهر أو تتركه يلهث

وقال:

قل لابن حرب طيلسانك قد ... أوهى قواى بكثرة الغرم
متبين فيه لمبصره ... آثار رفو أوائل الأمم
وكأنه الخمر التي وصفت ... فى «يا شقيق الرّوح من حكم»
فإذا رمم‍ناه فقيل لنا : ... قد صحّ، قال له البلى : انهدم
مثل السّقيم برا فراجعه ... نكس فأسلمه إلى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزني ... «ومن العناء رياضة الهرم»

«الخمر التي وصفت» في قول أبى نواس:

يا شقيق النّفس من حكم ... نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقني البكر التي اعتجرت ... بخمار الشّيب في الرّحم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثمّت انصات الشباب لها بعد أن جازت مدى الهرم
فهي لليوم الذى بزلت وهي تلو الدّهر في القدم
عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصّت قصّة الأمم
فرعتها بالمزاج يد خلقت للكاس والقلم

وقال الحمدوني[١] :

طيلسان لابن حرب جاءني خلعة في يوم نحس مستمرّ
فإذا ما صحت فيه صيحة تركته كهشيم المحتظر
وإذا ما الريح هبّت نحوه طيّرته كالجراد المنتشر
مهطع الدّاعي إلى الرّافي إذا ما رآه قال: ذا شيء نكر
وإذا رفّاؤه حاول أن يتلافاه تعاطى فعقر

وقال:

أيا طيلسانى أعييت طبّى أسلّ بجسمك أم داء حبّ
ويا ريح صيّرتنى أتّقيك وقد كنت لا أتّقى أن تهبّى
ومستخبر خبر الطيلسان فقلت له الروح من أمر ربّى

وقال

طيلسان لابن حرب جاءنى قد قضى التمزيق منه وطره
أنا من خوف عليه أبدا سامرىّ ليس يألو حذره
يابن حرب خذه أو فابعث بما نشترى عجلا بصفر عشره
فلعل الله يحييه لنا إن ضربناه ببعض البقره

(١) ج/ ٥٩٢

فهو قد أدرك نوحا، فعسى ... عنده من علم نوح خبره
أبدا يقرأ من أبصره ... أئذا كنّا عظاما نخره

وقال :

يا ابن حرب أطَلْتَ فقرى برفوى ... طيلسانا قد كنت عنه غنيّا
فهو في الرّفو آل فرعون في العر ... ض على النار غدوة وعشيّا
زرت فيه معاشرا فازدرونى ... فتغنّيت إذ رأونى زريّا
جئت في زىّ سائل كى أراكم ... وعلى الباب قد وقفت مليّا

وقال :

وهبت لنا ابن حرب طيلسانا ... يزيد المرء ذا الضّعة اتّضاعا
يسلم صاحبي فيعيد شتمي ... لأنّ الروح يكسبه انصداعا
أجيل الطّرف في طرفيه طولا ... وعرضا ما أرى إلّا رقاعا
فلست أشكّ أن قد كان قدما ... لنوح في سفينته شراعا
فقد غنّيت إذ أبصرت منه ... جوانبه على بدنى تداعى
قفى قبل التفرّق يا ضباعا ... ولا يك موقف منك الوداعا

إن الشعر الساخر يدل دلالة قاطعة على إجادة الشاعر وتفوقه إذ تبدى عبقريته الشعرية وقدرته على التصوير المبتكر واستجداد الصور وحيويتها مما انطوت عليه من قيمة فنية (كأن الدخول إلي السخرية الشعرية وتحميلها بطوابع من الفكاهة والضحك أساس لإثبات التفوق الشعري بحيث أصبح خوض غمار هذه الموضوعات الحد القاسم بين أعلام الشعراء ومغموريهم، ولهذا لم يك غريبًا أو عجبًا أن يتخذ ابن الرومي من طيلسان ابن حرب موضوعًا لأشعاره الساخرة الفكهة [١] تظهر مهارة شعرية، وقدرة

(١) شعر السخرية في العصر العباسي موضوعاته وقيمه الفنية ١٩٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فنية توصل لغاية منشودة من إمتاع المتلقي، وإشاعة البهجة والسخرية اللطيفة من المسخور منه، وهى تحقق ذلك إضافة إلى شيوعها وسرعة انتشارها وكأن الترويح عن النفس يقبل عليه من امتلك أداته، واستطاع إتيانه، وقد سبق الحمدوني أبو حمران السُّلَمى الذى سخر من طيلسانه البالي الخلق فقال فيه .

يا طيلسان أبي حمران قد برمت منك الحياةُ فما تلتذ بالعُمُر
في كل يومين رفاء يجـــــدده هيهات ينفع تجديد مع الكبر
إذا ارتداه لعيد أو لجمعتـــه تنكب الناس لا يبلى مع النظر (١)

وحمدون سخر من الطيلسان البالي، وتخطت سخريته طيلسانه، وصار كل طيلسان خَلِقٍ طيلسان الحمدوني الباعث على السخرية، المثير للإضحاك، الواضع الابتسامة على الشفاه .

وطيلسان الحمدوني مليء بالصور والتشبيهات المبتكرة، وجعل طيلسان أحمد بن حرب مرمى مقصودًا يقصده الفاكهون فيضيفون عليه، ويحذفون مبتكرين محددين ... يا ابن حرب كسوتني (٢)

فالطيلسان بلغ من الاهتراء والضعف مبلغًا كبيرًا وهنا تناص دينى قرآنى " نسج العناكب " كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا (٣) " ، ينقد : قد" وقدت قميصه من دبر(٤)

(١) وفيات الأعيان بن خلكان ج ٧ ، صـ٩٨
(٢) في طبقات الشعراء ابن المعتز ج١ ، ت عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ٣٧٠، أخبار الحمدوني ، وثلاثة قطع له في الطيلسان .
(٣) سورة العنكبوت آية٤١
(٤) سورية يوسف اية ٢٨

يتنفس يتشق : " والصبح إذا تنفس " [١] فقد استخدم كلمات (نسجت – ينشق – ينقد) فهذه الكلمات لا يحتملها ضعف الطيلسان، وسرعان ما يتهاوى أمام حدة الفعل وقوته، وأتى بصور مضحكة، فالمولى عزوجل قال : إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " ومجرد النفس يمزقه، حتى التنحنح يقده، وكأننا أمام لا شيء أو شيء هلامي إذا مُس باللاشيء ليس يلين فقط بل يتهاوى قبل وصول الأكف إليه.

ويسترسل فيقول إنه رائح غادٍ على الرفاء من كثرة ترداده الطريق فهو يعرفه جدًا ويوشك أن يذهب وحده، ونكَّر طيلسان لشهرته وذيوع صيته لوهنه وخلقه، ثم أضافه لابن حرب" طيلسانك" فخصصه تخصيصًا محمودًا دقيقًا بالضمير والكنية" طيلسانك يا ابن حرب " فلا مجال للخطأ أو الإبهام فهذا البِلى لم يلحق إلا بطيلسان بن حرب وقد كانت تلك المقطوعة مدعاة للمحاكاة والاستلهام ليس هذا فحسب بل أيضًا ساعدت على استبانة أسس الأدب الساخر، ومن تلك الأسس :

١- الإفراط في الصفة والمبالغة في المعنى و التشبيه

٢- حسن التضمين وقد عرف الزنجاني التضمين بقوله " هو أن يأتي الشاعر في شعره بمصراعٍ أو بيت أو بيتين استعانة بذلك على اتمام مراده وتأكيد معناه على سبيل العارية كالمتمثل "[٢]وقد ورد في النص مستقى من نواحي متعددة من أي القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو بيت شعري أو إشارة لحدث تاريخي .

---

(١) سورة التكوير اية ١٨ .

(٢) معيار النظار في علوم الأشعار . نقلاً عن ..شعر السخرية في العصر العباسي الثاني ٢٩٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣- انتحال لغة الجد والرصانة في التعبير عن موقف مضحك ساخر، وهو محدد هدفه من الإضحاك وإثارة المرح [١]

والطيلسان لعظم اهترائه لا يطيع الرفاء، فإذا ما أصلحه من جانب تمزع من الجانب الأخر، وهذا حال من بلغ به القدم، حتى امتد إلي شراع نوح- مبلغه

قفي قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

هذا بيت للقطامي[٢] وقد ضمنه مقطوعته

أيا طيلسانى أعييت طبي أسُلٍّ بجسمك أم داء حبِ

يدل النداء في البيت "أيا طيلسان" على احتفاء الحمدوني بهذا الطيلسان واهتمامه به، وكأنه ابن من أبنائه، والنداء تجسيم للطيلسان، فالطيلسان استغرق كل وقت الحمدوني في تفسير كنهه، ومحاولة فهم الموصل لتلك الحالة المزرية التي بات عليها ؛ حتى إنه ليتحاشى الرياح ولم يك يعبأ بها قبلاً ولا يتقيها، ثم اهتدى إلى كينونته أخيرًا فهو روح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا " أوضح من البيتين سواء أكان مؤتى في جودة التصوير أو تسلسل الوصف واكتماله، وهى طريقة حببت الناس مذهبه فيها وطريقته في تأليفها [٣]

وإذا رفاؤه حاول أن يتلافاه تعاطى فعقر

(١) السخرية في الأدب العربي د نعمان محمد أمين طه صـ ٢٣٩ -بتصرف- ١٩٧٩ ط التوفيقية

(٢) القطامي توفي حوالى ١٣٥ هـ اسمه عميربن شييم ، والقطامى لقب غلب عليه ، وهو شاعر غزل ومديح أسر ، ثم أطلق سبيله زفر بن الحارث توفي ٧٥ هـ فقال في مدحه قصيدة منها هذا البيت قفي قبل التفرق يا ضباعا .... ولا يك موقف منك الوداعا

(٣) شعر السخرية في العصر العباسي ٢٠٧

الثقافة الدينية جلية في التضمين ... فإن سعيد يصيح من وراء الحجرات كشاعر تميم، ويذكر قصة الحنين، والسامري الذى أعبدهم العجل، ويستخدم كثير من التضمين (الروح من أمر ربي -كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث -أئذا كنا عظامًا نخرة – مقطوعة رائية تتضمن حتى آيات من سورة القمر " ٦-٧-١٩-٢١-٢٩" كذلك " فالطيلسان " خضع للشقوق والفزور .. وأصبح أجزاء متناثرة فمثله مثل العظام النخرة الميتة التي تحتاج إلي قدرة الخالق- جل شأنه -ليعيد إليها الحياة

فإذا ما لبسته : قلت : سبحا نك محي العظام وهي رميم
طيلسان لابن حرب جاءني خِلقةً في يوم نحس مستمر
وإذا رفاؤه حاول أن يتلافاه تعطى فعقر

إن الرفاء إذا ما اجتهد وبذل جهدًا وحاول زاده عطبًا إلى عطب وتمزيقًا إلى تمزيق والطيلسان لقدمه أسير الله في الأرض يشفق عليه اشفاقه على عرضه، كان شراعًا لسفينة نوح كالخلق الذي لا يطيع الرفاء، كالطور الذي تجلى له الله فدك؛ مثل آل فرعون في العرض على النار بكرة وعشية، وأكثر من تضمين أبياته لآي القرآن الكريم وكأنه خالد هو الآخر باق، والحمدوني خفيف الروح دائمًا وأبدًا وبلغت من شهرة الهدية – الطيلسان- والهادي – ابن حرب -مبلغًا كبيرًا حتى إن الحمدوني لاقى بن حرب " صاحب الطيلسان وعلى كتف الحمدوني وسادة، فسأله ابن حرب : لأي شيء هذا يا حمدوني ؟! قال : أرقع به طيلسانك، فقال ما تزال تهجونا منثورًا وموزونًا "[1] والحركة تنساب في الأبيات مما شاع التهكمية الواقعية " التي زادت أبياته طرافة، وهي التي نعمت بالتشخيص الساخر دائمًا

(١) جمع الجواهر للحصري صـ٢٧ ١نقلاً عن السخرية للنعمانى صـ ٢٤٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فالحمدوني حاذق يوفر لشعره الذيوع بألفاظه العذبة، وبكلماته الرقيقة، ويتوج ذلك باستخدام البحور المناسبة لذلك التهكم الرقيق، ويتوج ذلك باستخدام البحور المناسبة لذلك التهكم الضاحك فجعل مقتطفاته من الخفيف، أو مجزوء الرمل، والمنسرح، والمتقارب، كذلك استخدم القافية الساكنة غالبًا (١)

= نمط سخرية وصف حيوان " شاة سعيد "للحمدوني (٢)

سعيد هو سعيد بن أحمد البصري بن خوسنداذ، وهو فارسي الأصل ، وقد أهدى إليه سعيد بن أحمد هذه الشاة التي كانت هزيلة ضعيفة، فقال فيها الحمدوني

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذ:

أسعيد قد أعطيتني أضحيّـــة ... مكثت زمانا عندكم ما تطعم
نضوا تعاقرت الكلاب بها وقد ... شدّوا عليها كي تموت فيولموا
فإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم: ... لا تهزءوا بي وارحموني ترحموا
مرّت على علف فقامت لم ترم ... عنه، وغنّت والمدامع تسجم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لى ... متأخّر عنه ولا متقدّم

وقال :

أبا سعيد لنا في شاتك العبر ... جاءت وما إن لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت ... طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو أنّها أبصرت في نومها علفا ... غنّت له ودموع العين تنحدر
يا مانعي لذّة الدنيا بأجمعها ... إنى ليفتننى من وجهك النظر

(١) جمع الجواهر للحصري صـ١٢٧ نقلاً عن السخرية للنعمانى صـ ٢٤٠-٢٤١
(٢) زهر الآداب ج١ صـ ٤٨٥والأبيات من الكامل

وقال :

شاة سعيد في أمرها عـــبر لما أتتنـــا قد مسّها الضرر
وهي تغنى من سوء حالتها حسبى بما قد لقيت يا عمر
مرّت بقطف خضر ينشّرها قوم فظنّـــــت بأنها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلهـــا حتى إذا ما تبيّن الخـــبر
وأبدلتها الظنون من طمع يأسا تغنّت والدّمع منحدر
كانوا بعيدا وكنت آملهـــم حتى إذا ما تقربوا هجروا

وقال:

لســـــعيد شويهة سلّها الضّر والعجف
قد تغنّت وأبصرت رجلا حاملا علف
بأبى من بكفّـــــه برء ما بي من الدّنف
فأتاها مطمّعـــــا وأتته لتعتلـــــف
فتولّى فأقبـــلت تتغنّى من الأســـف
ليته لم يكن وقف عذّب القلب وانصرف

مقطوعة ساخرة فكهة ضاحكة حتى اشتهر شعره الذي قاله في هـذه الشاة وشهرته معها .

= نسب لها الفناء من سوء حالها فهي اســتعارة تشخيصــية حيــث يصور الحمدوني هذه الشاة بأنها إنسان يفنى :

مرّت بقطف خضر ينشّرها قوم فظنّت بأنها خضر
فأقبلت نحوها لتأكلهـــا حتى إذا ما تبيّن الخبر

=وصل بها الضنك إلى حالة مزرية فهي تشتكى مثلها مثل الإنسان، بل إنها لكثرة الجفاف الذي عانته، والحرمان الذى عاشته مرت بقطف خضــر ينشرها ... قوم فظنت بأنها خضر ونلاحظ أن السخرية انكفأت على حركــة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اعتبارية من حلم الشاة بالعلف وهشها إلى التهامه وحركة حقيقية من انهمار الدموع .. مما ساعد على دعم رسم هيئة الشاة، وهذا من إيجابيات بناء النص على الحركة في بناء السخرية ،والمفارقة هنا " حيث نرى العبث في الجد، والزيف في الحقيقة، ولهذا تتصف المفارقة في كثير من صورها بالتهكم والسخرية والدهشة والألم والإحساس بالفجيعة والمأساة [١]

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت طعامها الأبيضان الشمس والقمر

وقد أشار ضمنًا لعنصري الزمان والمكان بذكر لازمة من لوازمهما، الزمان : " الشمس والقمر ليدل على كر الليالي ليل يعقبه نهار وهى لازالت تكابد جوعًا والمكان هنا توارى "التلميح فكان لطلب السخرية آكد وأقوى فالتلميح الخفي واضح الدلالة ،وسريع الإدراك ، حتى يتمكن السامع من أن يملأ الفجوات من تلقاء نفسه وبسرعة) [٢] فالمتلقي سيتوصل للمسكوت عنه تلميحًا ألا وهو إحباط الشاة التي ملئت أملًا حينما رأت خضرًا فانصدمت بعد خيبة الأمل .

لسعيد شويهة سلّها الضّر والعجف
قد تغنّت وأبصرت رجلا حاملا علف
بأبي من بكفّه برء ما بي من الدّنف
فأتاها مطمّعا وأتته لتعتلف
فتولّى فأقبلت تتغنّى من الأسف
ليته لم يكن وقف عذّب القلب وانصرف

(١) خطاب المفارقة والأمثال العربية ، مجمع الأمثال للميداني نموذجًا ، صـ أ ، كلية الآداب واللغات – ج بسكرة ٢٠١٢

(٢) النكتة المصرية عبد العزيز سيد الأهل صـ ٣٤-٥٧

فهناك مفارقة سلبية وإيجابية ، أو تزاوج بين الفرح والحزن لسعيد شويهة " إيجابي فرح"، سلها الفقر والعجف" إيجابي حزن" وتغنت وأبصر – رجلًا حاملًا علفًا إيجابي فرح، فأتاها مطمعًا .. فأتت لتعتلف، فتولى فأقبلت تتغنى من الأسف " سلبي حزن "، فالحمدوني يعمد إلى المفارقة، والمفارقة " فن قول شيء ما دون قوله بشكل فعلي أو صريح، حيث تكتسب المفارقة سمة عمق الفن العظيم، وهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحذاقة والظرف والذكاء، كما أنها عملية ذهنية أقرب إلي العقل منها إلي الحواس [١]، والمعروف أن المفارقة " PARADaX "عبارة تبدو منافية للعقل ومع ذلك قد تكون صحيحة " ... وقد تحمل تناقضًا ظاهريًا ولكن بعد التدقيق تتضمن حقيقة توفق بين التناقضات بها " [٢] ولها معنى متشعب قائم على المخالفة أو التضاد والتناقض " في علاقات وأطراف يجب أن تكون متوافقة، وكذلك فيما يظهر لنا عكس حقيقته، حيث نرى العبث في الجد، والزيف في الحقيقة، ولهذا تتصل المفارقة في كثير من صورها بالتهكم والسخرية والدهشة والألم والإحساس بالفجيعة والمأساة [٣] والمفارقة " عبارة متناقضة في ظاهرها مقبولة المعنى في حقيقتها، وقد تتضمن الطباق كقول أبي نواس.

تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

يقول المتنبي :

أنا الذي نظر الأعمى إلي أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم(٤)

---

(١) خطاب المفارقة في الأمثال العربية محمع الأمثال للميدانى نموذجًا ، صـ ١٦
(٢) معجم المصطلحات الأدبية صـ ٣١٥
(٣) خطاب المفارقة في الأمثال العربية صـ أ
(٤) مصطلحات الأدب معجم الغة العربية صـ١٥٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو هنا يحدث إثارة وتشويقًا، فصاحب المفارقة إذ يُخبئ معناه خلف نقيضه فإنه يهدف إلي بلوغ أقصى درجات الوضوح ويحاول الوصول إلى أقصى درجات القبول لما يبدو أنه سيقول [١]

وعليه فقد أسهمت المفارقة في عرض ما يريد، وميزت حالتها فهو حشد صياغة موحية، وموسيقى الأبيات خفيفة لتقبل أفكاره، ويعرضها بانسيابية وبساطة، فالأفكار مرتبة محكمة تخضع لسير وئيد يتناسب مع ضعف السائر، فالحمدوني أبدع في صوغ سخريته سواء في الطيلسان أو في الشاة وإن كانت السخرية من الشاة تتسم بخصوصية لأنه يسخر من شيء مرئي لكنه يعرض بها في بعض المواضع ولا " يربط بين أسبابها ونتائجها علاقة منطقية او متوقعة مما يترتب على ذلك مفارقة تدعو سامعيها إلى الاندهاش والضحك في أن واحد بسبب عنصري المفاجأة والمفارقة "[٢]، وحشد الحمدوني لتحقيق ذلك الكلمات والمعاني والأخيلة والصور والموسيقى ولا شك أن التضمين المتناثر في أبياته أضفى عليها إرثًا ثقافيًا بينًا. فالحمدوني حاذق يوفر لشعره الذيوع بألفاظه العذبة وبكلماته الرقيقة ويتوج ذاك باستخدام البحور المناسبة لذلك التهكم الضاحك"[٣] وحينما يتكلم عن مزايا الشاة ثم يتحدث عن هزالها تلك المطعومة بنور الشمس والقمر نتبين " لعبة لغوية غاية في المهارة

(١) المفارقة وصفاتها دي سي ميويك ، ت عبد الواحد لؤلؤة صـ ٢١١ بيروت ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٣

(٢) بنية السخرية والمفارقة بين التكرار والحذف في مقالات جلال عامر صـ ١٦ ، آيات سليمان عبد الفتاح البربري ج القاهرة ، ك الآداب ٢٠١٦ إشراف سليمان عبد العظيم العطار ، عزة شبل محمد

(٣) السخرية في الأدب العربي صـ ٢٤١

والذكاء[١] نظمها الحمدوني مبدعها، فالمفارقة مهارة لغوية تبدي معنى وتخفي معنى في الغالب المعنيان متناقضان الدلالة وإن كانا بشكل أو بآخر بهما شيات من الحقيقة على تناقضهما وتضادهما " فالمفارقة بذلك انحراف لغوي يخلق للقارئ دلالات عديدة يتحرك من خلالها " عبارة تبدو متناقضة في ظاهرها، "غير أنها بعد الفحص والتأمل تبدو ذات حظ لا بأس به من الحقيقة "[٢] ونلاحظ أن مفردات الحمدوني متداولة بدأها بأداة النداء[أ] وهي للقريب... إما تفيد قرب سمع سعيد لما سيقوله الشاعر في هديته، أو تفيد قرب استلامه الهدية وسرعة تعليقه عليها، والسخرية منها شكلاً ومضمونًا، فقد استنكر نحافتها المثيرة للعجب والسخرية منها ليس من الملأ فقط بل من الكلاب التى تنشد الإطعام إذ لما تجد بها ما يؤكل مما حدى بها – بالشاة – للدفع عن نفسها وطلب الرحمة ، ودعت للرأين (ارحموني ترحموا) وخيال الشاعر صاحبه فأوقد سخريته، وأشعل أوارها، ولثقافته ومزخوره الأدبي مده بيت شعري لأبي الشيص يجسد حالتها، فقد تخيلها باكية ساجمة المدامع متحدرات الدمع حين رأت علف فحضرها بيت أبي الشيص، ثم أوضح إنها شاة "عبرة" إذ طال مكثها لدى – سعيد –ومنع عنها العلف، فلا تأكل إلا ضوء الشمس والقمر، وبالتالي فهي بلا بول ولا بعر، ومن أين يأتيها وهي لا تتناول الماء ولا العلف؛ ويستطيل في سخريته مصورًا ما مسها من الضرر، ثم أماليها العراض التي تخفق واحدة إثر أخرى، فها هي

(١) شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي نعيمة سعدية ص١ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر العدد الأول ، جوان ٢٠٠٧

(٢) المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق خالد سليمان ، صـ ٨٦ ، دار الشروق والنشر والتوزيع ١٩٩٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ذي يسيطر عليها الشغف باللون الأخضر نظرًا لحرمانها منه، فما تكاد ترى " قطف" خضر منثورة حتى يراودها الأمل إنها طعام فلما تبينته هجرته وولت حزينة، ويصور الشويهة مسلولة سلها الضر والعجف؛ حتى إنها لتتفقد مظان وجود الطعام، فما كادت ترى رجلاً – يحمل طعامًا – وهو رآها حتى اقبلت عليه شرهة شغفة بنيل ما يحمله من طعام، فلما رآها على عجفها وسلها زهد فيها وفي إمكانية تأثير الطعام فيها – سخرية – فانصرف وقد أسفت لمغادرته وانصرافه دون تحقيق بغيتها (عذب القلب وانصرف)

فصور السخرية والخيبة التي تبعتها توالت في المقطوعات الواردة ومنها :-

١-كلاب يتوجهون نحوها ثم يعافونها

٢- ملأ يسخرون ضاحكين من مرآها

٣-رؤيتها علف وهطل الدموع السواجم

٤- خلوها من البول والبعر لمنعها الطعام.

٥- غنائها للعلف في المنام وتوهمها كل أخضر " قطف" أخضر مأكول

٦- تبادل الإحباط وخيبة الأمل بينها وبين كل رأي (حيوان -كلاب) (إنسان يحمل العلف) فكل منهما ينصرف كسيف البال كسير الخاطر (والصورة الخيالية متوالية في القطع بشكل تلقائي لا نبو فيه، والمقطوعات تنوعت موسيقاها بين الكامل والبسيط والمنسرح ومجزوء الخفيف إذا صب المعاني في أوزانها المتباينة معها، لذا اختلفت لاختلافها الموسيقى، المعنى المنظوم. وفى رصد أحوال الشاة وتقلب المواقف عليها سرد لقصة حيوانية

"والقصص الحيوانية في أروع حالاتها وأعلى درجاتها هي: حكايات مستطرفة ، وأحاديث مستملحة تتضمن أقولًا وأفعالًا تنسب إلي الحيوانات"(١)

توظيف التراث واستلهامه في شعر الحمدوني لم يأت مقتحمًا على النص بل جاء موظفًا لإضفاء الطرافة وتأكيد الظرف ولا سيما بعد أن أرداه ثوبًا قشيبًا يتضح ذلك من كونه يختم مقطوعته ببيت أبي الشيص(٢) إذ يقول

وقف الهوي بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

فثقافة الشاعر ومخزونه المعرفي دفعه لتضمينه قول محمد بن يسير الرياشي في السخرية في شاة سعيد فقال:

اعفه يا رب من واحدةٍ ثم لا أحفل أنواع التلفْ
اكفه شاةُ منيع وحدها يوم لا يصبح في البيت علفْ
اكفه ذاتَ سُعالٍ شَهلةً مُتِّعت في شّرِ عيش بالخرف(٣)

فهو لم يأخذها هكذا ويثبتها في نصه بل أفاض وأضاف من الشحنات الدلالية ما كان حقيقًا بتحويلها من شاة منيع لشاة سعيد وكأنها أبيات قشيبة إذ يقول :

---

(١) القصص الحيواني د حامد عبد القادر صـ١٠ ، دار البيان العربي ١٩٥٠، ط١

(٢) أبو الشيص : محمد بن عبد الله بن رُزين الخزاعى ، ابن عم دعبل بن على الخزاعي ... وأشعاره ونوادره وملحه كثيرة جدًا . وكان أبو الشيص لقبًا غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر .. وكان أبو الشيص من شعراء عصره ، متوسط الحال فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمى – كان معاصرًا لبشار ، وهو شاعر فحل – الأغاني ج ٢٤ ، صـ ٤٤، ١

(٣) الأغانى ج ١٤ ، ص٢٥ ، الخرف : ضرب من التمر الردىء .. وهى صارت مثَلا لكثير الكل النهم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لســــــعيد شويهة سلّها الضّر والعجف

قد تغنّت وأبصرت رجلا حامــلا علف [١]

وهو هنا تناص ممتص وكأنه استوعب فكرة الرياشي [٢] وامتصها ثم أخذ في النسج على منوالها " الامتصاص مرحلة أعلى في قــراءة الــنص الغائب، وهذا القانون الذي ينطلق أساسًا من الإقرار بأهميــة هــذا الــنص وقداسته، فيتعامل وإياه تعاملاً حركيًا تحويليًا لا ينفي الأصل بل يســهم فــي استمراره جوهرًا قابلاً للتجديد، ومعنى هذا أن الامتصاص لا يجمــد الــنص الغائب ولا ينقده إنه يعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب بها، وبذلك يستمر النص غائبًا غيــر ممحــو ويحيا بدل أن يموت " – على حد قول أحمد نــاهم –[٣] والتنــاص هنــا " مناصة " لأنه اشتركت البنية النصية الوافدة مع بنية النص الأصلية في مقام

(١) نهاية الأرب للنويري ج ١٠– صـ ١٣٢، العقد الفريد ج ٦ ، صـ٢٨٧ ديوان الرياشــي صــ١٠٤، ج ت محمد جبار المعيبد ، ومزهوالسوداني ، مجلة الذخائر ع الثــاني الســنة الولى صــ٢٠٤ ، العراق ١٤٢٠،٢٠٠٠

(٢) والرياشي محمد بن يسير كان مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشــي الإخباري الأديب ، ويقال : إنه منهم وليس من مواليهم ، وهو شاعر ظريف من شــعراء المحدثين وكان مقلًا أبي النفس لم يفد على خليفة ولا شريف ، ولم يفارق البصــرة وكــان ماجنًا بخيلًا أديبًا ، واشتهر بظرفه ومجونه وقصة شاته انه كان يملك بستانًا قــدره أربعــة طوابيق في داره فزرعه رمانًا ونخلًا وزرع حواليه بقلًا ، فأفلتت شاة جاره منيــع وأكلــت البقل والنخل وورقه ومضغت الخوص ، ثم اقتحمت داره فلم تجــد فيهــا طعامًــا ووجــدت قراطيس ورقيه استودعها شعره وأشياء من سماعاته ، فالتقمتها ، فخرج إلــي المســجد يشتكيها وصاحبها ، ثم عاود زرع بستانه وشُهرت أبياته تلك لظرفهــا الأغــاني ،ج١٤، صــ٢٣–٢٨ بتصرف .

(٣) التناص في شعر الرواد سلسلة رسائل جامعية ، صــ ٤٣طــ١ ، ٢٠٠٤ ، طــ ١

وسياق معينين، وتجاورا وكل منهما احتفظ ببنيته كاملة ومستقلة، والمعروف أن هناك تنوعا فى تحليل نظرية التناص إذ تم تقسيمه إلي أنواع منه المناصة.

التناص : وردت كلمة التناص في لسان العرب ؛ بمعنى الاتصال، يقال هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي تتصل بها ،[١] وهو معنى لا يبعد كثيرًا عن الدلالة النقدية والمصطلح الشائع، والتناص هو العلاقة بين النصوص، وحقيقة التفاعل بينها وذلك في استحضارها ؛ باستعادتها أو تقليدها، بل محاكاتها لنصوص أخرى سابقة أو معاصرة لها، فالنص الأدبي يمثل كتلة من الفسيفساء المتداخلة بالاقتباسات والمعاني التى أخذت وشربت معانى أخرى جديدة مطروحة في النص " [٢]

وقد عرفته جوليا كريستيفا بأنه " عبارة عن لوحة فوسفائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى، وعرفته كذلك بأنه " أحد مميزات النص الأساسية، والتي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها [٣]

يحدث التناص في جميع الأنواع الأدبية شاملاً القضايا والموضوعات والمناخات كما يحدث في الأنماط والتراكيب والصياغات، وكذلك في التجارب السريالية والكتابة الألية، وقلب علاقات الإسناد أو تبديد صلة الشبه

---

(١) لسان العرب مادة (ن ص ص)

(٢) جهرت الباحثة جوليا كرستيفا في النشاط النقدى بهذا المصطلح ما بين ١٩٦٦-١٩٦٧ في أبحاثها التي صدرت عن مجلة تل كيل ، كريتك،وهو يرتبط بالإنتاجية النصية (النص المولد).: الذي يهتم بالكيفية التي يتم بها توالد النصوص وخلقها وفق عمل منبنٍ على بناء سابق أو مسبق ، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية ، عبد القادر بقشي ، صـ ١٨ ، ٢٠٠٧

(٣) التناص وأسلوبية الحضور والغياب ، برونة محمد ، صـ ١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بين المشبه به أو تقديم الصفة على الموصوف به وفي علاقات التقديم والتأخير وغيرها [١]

فالحمدوني يسخر من أبي سعيد الذي أهداه شاة تعاني الجوع الشديد، والهزال البيِّن اللذين أفقدا جسدها النحيل بعض وظائفه الأساسية فقوله " جاءت وما إن لها بول ولا بعر " أسلوب قصر يفيد التوكيد .. الباعث على التعجب كيف يعيش كائن حي بدونهما، ثم يزيل هذا التعجب بقوله

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت طعامها الأبيضان الشمس والقمر

وهل الشمس والقمر يمدان أحدًا بالطعام والشراب .. ؟!! إذن فقد جاعت وعطشت في بيت المُهدي فعن طريق المغالطة لبيان ما عانت من جوع "طعامها الأبيضان الشمس والقمر" وهما لا يطعمان ... حتى وصل بها الجوع حالا أن تتخيل العلف فتبتهج وتسعد فما بالك لو رأته حقيقة فكأنها عاشقة تتغنى لمحبوبها الذى حرمت النظر إليه و تذرف الدمع فرحًا وسرورًا.

فالسخرية هنا حققت هدفيها من قضاء مأرب الناظم وهو الإضحاك من الهدية الهزيلة وتوصيله معلومة " بشكل لا تكتم فيه فلم يظن بصاحبها خيرًا " بل وصمة بالبخل على رؤوس الأشهاد ومن سيأتي ...، ومنح للمتلقي متعة فنية زودت بدعائمها من صور فنية وأساليب بلاغية " لذا فالسخرية " من أرقى الفنون الأدبية الهازلة .. وذلك نابعٌ من أنها جدٌّ إن قُصد به الجد ، وهزل إن قصد به الهزل وهي في الوقت نفسه جدٌّ لأنها تحقق الهدف الذي أراده الهازل بهزله [٢]

---

(١) التناص في شعر إلياس أبو شبكة يوسف العايب صـ ٣٥، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ج ، الحاج الخضر صـ ٢٩ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، نقلاً عن

(٢) فن السخرية في أدب الجاحظ د نشأت العناني ، صـ ٦١

وقد استوحى فيها ما قاله " أبو الخطاب البهدلي في خروف أهدي إليه، وكان مهزولًا مثل تلك الشاة المهداة وقد ذكره بن الجراح في كتاب الورقة [١]

أهدى إلينا معمر خروفًا ... كان زمانا عنده مكتوفًا
يعلفه الكشيح والسفوفا ... والغارقون بعده ممدوفا
حتى إذا ما صار مستحيفا ... أهدى فأهدى قصبًا ملفوفا
حلل جلداً فوقه وصوفًا ... وكان من فعاله موصوفا

ويعتمد الحمدوني في تهكمه بالشاة أو سخريته بصاحبها على المبالغة في وصفها بالهزال، وجعلها تتغنى دائمًا – كأنها عاشقة –بحبها ألا وهو العلف " [٢]

(١) صـ ٦٢، نقلا عن السخرية في الأدب العربي صـ٢٢٧
(٢) المرجع السابق ٢٣٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثالث : السخرية فى النثر

اختلف النثر عن الشعر لما للناثر من حرية في الأداء يقيدها الشعر بوزنه وتقفيته ، وقد أكثر الحُصْري من إيراد السخرية النثرية .. ووردت غير متوالية مترادفة بل متناثرة في ثنايا الكتاب ، وتنوعت أنماطها ما بين نمط سخرية عفوية ارتجالية قصيرة ، نمط سخرية طويلة معدة مقصودة ،

١- السخرية العفوية القصيرة أنماط متعددة منها :-

= السخرية البشرية: وهي قد يسخر الشاعر من نفسه أو من الآخرين أو يعرض نفسه برؤيا الآخرين " ولقي أبو العيناء [(١)]" رجل من إخوانه في السّحر، فجعل يعجب من بكوره، فقال:

أراك تشاركني في الفعل وتفردني بالتعجّب!

= السخرية من اللفظ : ووقف به رجل من العامّة فأحس به، فقال: من هذا؟ قال: رجل من بنى آدم! قال: مرحبا بك، أطال الله بقاك! وبقيت في الدنيا، ما ظننت هذا النّسل إلا قد انقطع!، ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال: اقرب منّى يا أبا عبد الله، فقال: أعزّ الله الوزير، تقريب الأولياء، وحرمان الأعداء، قال: تقريبك غنم وحرمانك ظلم، وأنا ناظر في أمرك نظرا يصلح من حالك إن شاء الله.

---

(١) محمد بن قاسم بن خلاد ياسر بن سليمان وأصله من بنى حنيفة ولد سنة١٩١هـ اعتلت عيناه بعد الأربعين وكان الحول يلازمه في صباه وشبابه ، وقيل إنه جده نازع الإمام على فدعا عليه وعلى ذريته بالعمى، تتلمذ على يد ابي عبيدة معمر بن المثني ، والأصمعي ، السخرية في الأدب العربي صـ٢٠٧-٢٠٨

وقال له يوما: اعذرني فإنّي مشغول، فقال له: إذا فرغت من شغلك لم نحتج إليك وأنشده:

فلا تعتذر بالشّغل عنّا ؛ فإنّما تناط بك الآمال ما اتّصل الشّغل

ثم قال: يا سيّدى قد عذرتك، فإنه لا يصلح لشكرك من لا يصلح لعذرك.

= وأقبل إليه يوما فقال: من أين يا أبا عبد الله؟ قال: من مطارح الجفاء!

= وقال له مرة: نحن في العطلة مرحومون، وفي الوزارة محرومون، وفي القيامة كلّ نفس بما كسبت رهينة.

وسار يوما إلى باب صاعد بن مخلد، فقيل: هو مشغول يصلّى، قال: لكلّ جديد لذّة! وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة.

فالسخرية جاءت كرد فعل لكلمات استثقلها الساخر فرد عليها ردًا حادًا

= نمط السخرية من التذبذب بين الحسن والقبيح، وقد تكون السخرية رَّد فعل لفعل بدا في أوله حسنًا ثم اعتراه القبح ومن ذلك قال أحمد بن الطيب: كنا مرّة عند بعض إخواننا، فتكلّم وأعجبه من نفسه البيان، ومنّا حسن الاستماع، حتى أفرط، فعرض لبعض من حضر ملل، فقال: إذا بارك الله في الشيء لم يفن، وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة!.

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام:

لي صاحب في حديثه البركه يزيد عند السكون والحركه

لو قال لا في قليل أحرفها لردّها بالحروف مشتبكه (١)

(١) زهر الآداب ج/ ص٢٠١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قال أبو العيناء، ذكرت لبعض القيان فعشقتني على السماع، فلما رأتني استقبحتني، [١] فقلت:

وشاطرة لما رأتني تنكّـــــرت وقالت: قبيح أحول ما له جسم

فإن تنكري مني أحولا لا فإنّني أديب أريب لا عيـــيّ ولا فدم

[فاتصل بها الشعر] فكتبت إلى: إنّا لم نرد أن نولّيك ديوان الزمام!

فالسخرية زاوجت بين الشعر والنثر مما كثف المعنى وأوضح الدلالة، وقد ادركوا إن السخرية أو الإضحاك والتملح كانت موجـــودة منـــذ القـــديم، واشتهر أُناس بها، فالضحك مادة يشكلها الإنسان ويقوم بتوجيهها.

السخرية في الكدية : كانوا يتكسبون بتلك السخرية حتى إنهم كـــانوا يعرفون قيمة بضاعتهم "قال الأصمعي بالعلم وصـــلنا ، وبـــالمُلَح نِلْنَـــا "[٢] ويثمنونها فهي تقضي لهم وطرا " قال ابن الماجشون : إني لأسمع بالكلمـــة المليحة ، ومالي إلا قميص واحد فأدفعه إلي صاحبها وأسْتَكْسِـــى الله عـــز وجل" [٣] فقد استمتع بالملحة ، وأشبعت حاجته الروحية أما الماديات فطلبها من الله

قال ابن الماجشون : لقد كنا بالمدينة ، وإن الرجل ليحدثني بالحـــديث من الفقه فيُمليه علي، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل، ويقـــول لا أعطيك مُلَحي، وأهَبُك ظرفي وأدبي السابق ذاته " وكأنه موقن أن الســـخرية والظرف والتفكه تهدف إلى الإضحاك من القائل، وتلقى–غالبَا– قبـــولا مـــن المتلقي فيقوم برد فعل حسن ويضحك.

---

(١) زهر الآداب صـــ ٢٠٠

(٢) السابق ٢٠٢

(٣) المرجع السابق ٢٠٢

=سخرية من الأخر : وهي أصل في السخرية ليضحك الجموع من المسخور منه ومن أشكالها .. السخرية من الإنسان بتشبيهه بالحيوان " سئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال: لو كان في زمن بني إسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره، قيل فأخوه عمر؟ قال كسراب بقيعة يحسب الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا " (١)

فالسخرية هنا أخذت توجهًا نصيًا استيحائيًا ..إما بالمعنى – ما ذبح غيره – فهو بقرة وهو المعنى المفهوم وإن لم ينص عليه ... أو بالنص الصريح حين أورد الآية . قال تعالى " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذونا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " سورة البقرة (٢)

" أقبل أبو شراعة العبسي، والجماز في حديثه كان يصف أبا نواس، وكان أبو شراعه أقبح الناس وجهًا، وكانت يد أبي شراعة كأنها كربة نخلٍ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على أبي شراعة لتم حسنه، فغضب أبو شراعه، وانصرف، وذلك يشتمه " يعنى أطراف أبي نواس ".

= نمط السخرية من الكلمة : وقد يستفز أحدهم من أحد التعليقات أو العبارات فيسلط عليها سخريته وهذا ما حدث مع الجماز ومن أخبار الجماز التي أوردها قال بعض جلساء المتوكل كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز فاشتاقه فكتب في حمله إليه، فلما دخل أُفحم، فقال له المتوكل: تكلَّمْ فإني أُريد أن أستبرئك، فقال : بحيضة أو بحيضتين يا أمير المؤمنين ؟ فقال له الفتح : قد كلمتُ أمير المؤمنين يُوليك على القرود والكلاب ! قال أفلست سامِعًا مطيعًا ؟ فالخليفة سيوليه على القرود والكلاب أي يجعله واليًا عليها،

(١) زهر الآداب ٣٢٦
(٢) المرجع نفسه ٣٢٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وسؤاله للفتح، أفلست سامعًا مطيعًا ؟ يعني إنه داخل في جملة من تمتد ولايته عليهم، فجعله من القرود والكلاب، فضحك المتوكل وأمر له بعشرةِ آلاف درهم . وقوله (حيضة أم حيضتين) سخرية تناسبت مع الاستبراء ... وهو خاص بالنساء أفلست سامعًا مطيعًا.. حكم عليه بالإفلاس لتعيينه قيمًا على الكلاب والقرود وهنا مفارقة فهو سميع لا عاص وإنما مطيع ولا يكون جزاؤه الإفلاس .

= نمط السخرية من المأكول : لا تقف السخرية عند حد بل قد تمتد وتتجاوز الموقف، ولا سيما لو صدرت من ساخر نابه كالجماز الذي كانت تعليقاته ساخرة ضاحكة تنم عن حنكة وفراسة فهو لا يستغفل مهما عبث به الأخرون "كان لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه، فدعا ثلاثة فجاءه ستةٌ وقرعوا الباب، ووقفوا على رجل رجل فعدَّ أرجلهم من خلف الباب، فلما حصلوا عنده قال : اخرجوا عنى، فإنما دعوت ناسًا ولم أدعُ كَراكِيَّ [١]، فقد سخر منهم وكأنهم كراكي لوقوفهم على قدم واحدة، فهو هنا يسخر من استخفافهم بعقله وإرادتهم لتغفيله، ويبدي ضمنًا حذقه وذكاءه، فهو لا يستغفل ولا يستهان به.

= وهناك السخرية من المأكولات "وأهدى رجل من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعب حاضر، فقال: كل يا أشعب، فأكل منها فقال: كيف تراها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى ربّك إلى النّحل! أي: ليس فيها حلاوة [٢] ، فقد كنى عن خلوها من حلو الطعم بأنها وجدت قبل أن يخلق العسل، فأشعب أديب يعرف كيف يستخدم الإيحاء

(١) زهر الآداب ٢٠٦
(٢) المرجع نفسه ٢٠٤

والمتلازمات حتى لو لم يدركها إلا ذوو الفهم وإن كان العصر عصر ثقافة وتلاعب بالألفاظ وتنميقها

= وقد تأخذ السخرية شكلاً متواريًا ينطوي على الفصاحة البالغة المراد [١] " قيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال لولا أنه ضرير البصر لنادمته فقال : إن أعفاني من رؤية الأهلَّة وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة " فهذا الظرف في العرض ينطوي على طلب المنادمة لصلاحه لها فهي لا تحتاج إلا إلي حُسن الحكي أما قوة البصر فلابد منها لمن يرى الهلال ولم يطلب منه قراءة نقوش الخاتم والسخرية هنا من تبرير الخليفة لاستبعاده إذ أن ما فقده – البصر – يحتاج إليه فيما ذكر مما يدل على أن الخليفة غير مقتنع في استبعاده، فأبو العيناء لا يتخلى عن سخريته وحسن التخلص المستظرف، وكلها تصرفات تنم عن عقلية مستوعبة حاضرة البديهة خفيفة الظل تفتقر إلي إجابات وتخرج من المأزق بانسيابية وأدب راق .

– وقال أبو العيناء: أنا أوّل من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة، قال لى أبى: إنّ الله قد قرن طاعته بطاعتي، فقال تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ) فقلت: يا أبت، إن الله تعالى قد أمنني عليك ولم يأمنك على، فقال تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)

ومواقف السخرية البشرية – متعددة وكثيرة – وقد تكون مكثفة الدلالة متشعبة الإضحاك ففي إطار الحديث عن أشعب وبخله " سألته صديقة له خاتمًا ! فقالت أذكرك به ، قال : اذكري أنك سألتني ومنعتك [٢] فهل

(١) زهر الآداب ٣٢٨
(٢) زهر الآداب ٢٠٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

السخرية هاهنا من بخله ؟! أم من جرأتها على سؤاله وهو المعروف بخلاً !! أم من ظرفه وحسن جوابه

(سألتني .... ومنعتك) فهذا التضاد يوصل للهدف بطريق عكسي فقد ابتغت تذكره – كرمًا – واستخدمت – مكرًا– فمنعها ما ودت من حليةٍ – لشح نفسه

= نمط سخرية الموقف وقد تتولد السخرية من الموقف، أو من كلمة فقد لقى " أبا العيناء رجل من إخوانه في السحر فجعل يَعْجَبْ من بكوره !! فقال : أراك تشاركني في الفعل وتفردني بالتعجب "

= وقد تكون السخرية من شيء واحد ويسخر منها شعرً ونثرًا كالسخرية من كثير الكلام " قال أحمد بن الطيب : كنا مرة عند بعض إخواننا ، فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ، ومنا حسن الاستماع ، حتى أفرط ، فعرض لبعض من حضر ملل ، فقال : إذا بارك الله في الشيء لم يفن ، وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة ! ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام

لي صاحب في حديثه البركه يزيدُ عند الكون والحركه
لو قال لا في قليلِ أحرفها لردَّها بالحروف مُشتبكة[1]

٢– نمط سخرية طويلة معدة مقصودة

وهناك رسائل طوال حملت من السخرية جرعات مكثفة أكثر من الأنماط السابقة التي أرسلت فيها السخرية في عبارات قصيرة عفوية

ا– رسالة بين ابن خاقان وأبي العيناء

قوله " [بين ابن خاقان وأبى العيناء]

(١) زهر الآداب ٢٠٤

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابّة زعم أنها غير فاره، فكتب إليه: أعلم الوزير، أعزه الله، أن أبا على محمدا أراد أن يبرّنـــي فعقّني، وأن يركبني فأرجلني، أمر لي بدابّة تقف للنّبرة، وتعثـــر بـــالبعرة، كالقضيب اليابس عجفا وكالعاشق المهجور دنفا، قد أذكرت الـــرواة عـــذرة العذريّ، والمجنون العامري مساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله،[١] فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزّيت ولكنه يجمعهما في الطريق المعمـــور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعلـــه النّسوان، وتتناغى من أجله الصّبيان؛ فمن صائح يصيح: داوه بالطباشـــير، ومن قائل يقول: نوّله الشعير، قد حفظ الأشـــعار، وروى الأخبـــار، ولحـــق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق لروى بحقّ وصدق عن جابر الجعفـــي وعامر الشّعبي، وإنما أتيت من كاتبه الأعور، الذى إذا اختار لنفسه أطـــاب وأكثر، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر؛ فـــإن رأى الـــوزير أن يبـــدّلني بـــه، ويريحني منه بمركوب يضحكني كما ضحّك منى، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطّره العيب بقبحه ودمامته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ فإن الـــوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه، فوجّـــه عبيـــد الله إليـــه برذونا من براذينه [٢] بسرجه ولجامه، ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابّة محمد، وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منـــك بمائة دينار، وما هذا ثمنه لا يشتكى فقال: أعز الله الوزير، لـــو لـــم أكـــذب مستزيدا، لم انصرف مستفيدا، وإني وإياه لكما قالت امـــرأة العزيـــز: (الآن

(١) الحُباق : بزنة الغراب : الضراط القاموس المحيط (حبق)
(٢) البرذون : الدابة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حصحص الحقّ، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فضحك عبيد الله وقال: حجّتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجّة غيرك البالغة"

أعلم الوزير – أعزه الله –- أبا على محمدًا ... " قوله " أعــزه الله " جملة دعائية اعتراضية ، والغرض من الاعتراض ههنا هو الدعاء للــوزير ابن خاقان ، بأن يعزه الله تعالى، أي يمكنه وينصره، ويؤيده وكنــى عنــه بأبي علي ؛ إكرامًا وتعظيمًا وتوقيرًا له عن ذكر اسمه " وقــد وظــف أبــو العيناء القيم البلاغية توظيفًا ناجحًا " أراد أن يبرني فعقنــي ، وأن يُركبنــي فأرجلني" طابق بين البر والعقوق، والركــوب والترجــل إظهــارًا للمعنــى وتوضيحًا له في الأذهان، فبضدها تتميز الأشياء، والأديب من خــلال هــذا الطباق إنما يريد أن يظهر مدى استيائه وتذمره مما حدث، ومخالفــة إرادة محمد بن عبيد الله فعله ؛ لإتيانه بهذه الدابة، غير القادرة على السير، حيث إنه أراد أن يبره بأن يحمله على دابة، لكنه في الحقيقة والواقع عقَّــه، لأن هذه الدابة – لعجزها– لم تفِ بالغرض المراد ، كمــا أنــه أراد أن يُركبــه فأرجله ، وهذا الطباق يعكس ما تمتع به أبو العيناء من روح ساخرة فكهــة مداعبة، كما أن بالعبارتين سجعًا لطيفًا، أكسب المعنى نغمًا موســيقيًا يثيــر النفس ويطربها، وقد جاء عفوًا دون تكلف مما أعطى المعنى قوة وتــأثيرًا، والفاء تصور لنا سرعة العقوق والترجل، لترتب ما بعدها على ما قبلها في عجلة دون تمهل، وقوله " دابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، تقف للنبــرة " كناية عن أن هذه الدابة إنما تقف أمام كل صوت يطرق ســمعها " وتعثــر بالبعرة " كناية عن عدم قدرتها على السير فهي تتعثر بأدنى شيء يواجهها على الأرض" والكناية من الأساليب التي تحتاج إلى التمرس بفنون القــول، والدليل على ذلك أنها تقف أمام أي نبرة تسمعها، وتتعثر تجــاه أي بعــرة

تقابلها، والكناية على هذا النحو الذي أورده الأديب تعكس تلك الحياة البدوية التي يحياها، حيث إنها تمثل وجدانه وثقافته، ولا أدل على ذلك من تشبيهه لتلك الدابة في وهنها وضعفها ونحافتها بالقضيب المتيبس تارة، وبالعاشق الولهان الذى أضر به عشقه، فجعله نحيفًا هزيلاً تارة أخرى وذلك في قوله" كالقضيب اليابس عجفًا، وكالعاشق الولهان دنفًا " فهي كما نرى صورة حسية مقتبسة من واقع ما يعيشه الأديب، ويتلمسه من حوله، يضاف إلى ذلك ما ألحقه بها من صفات الوهن والضعف التي أضفاها هذا الأديب المتمرس على دابته فزاد من ضعفها ونحولها وجعل منها أضحوكة في عين من يراها، ومحل سخرية النساء والأطفال، إذ راحوا يتندرون مما يشاهدون، فتراه يصف تلك الحالة فيقول"..... كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد تضحك من فعله النسوان، وتتناغى من أجله الصبيان، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير، ومن قائل يقول : نوِّله الشعير ..."، ونرى الأديب ههنا يبدع أيما إبداع في استخدام مهارته وتنوع أدواته التعبيرية، فيقرن التشبيه البياني فى قوله " كأنه خطيب مرشد " بالجناس الناقص البديعي الذي أورده بين : مرشد ومنشد، وبين قوله : حفظ الأشعار، وروى الأخبار " مما أحدث جرسًا موسيقيًا، ونغمًا تطرب لسماعه الآذان، ولا سيما أن جاء به ابو العيناء دون تكلف أو تصنُّع، وفى الجمع بين الضحك والتناغي، والصبيان والنسوان والحفظ والرواية ما يسمى بمراعاة النظير، حيث إنه جمع بين المعنى وما يناسبه مما جعل الكلام سلسًا عذبًا، كل لفظة آخذة بيد أختها، وكأن الكلام كله حكمة واحدة، لا نشعر إزاءه بأي عثرة، فهو كعقد اللؤلؤ، تسلسلًا وترابطًا وانسيابًا . والجمل متلائمة متساوية المقادير مما زين الكلام، وأبهى تنميقه إضافة إلى سجع يطرب الآذان، ويمتع الوجدان، ثم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بدهاء أدبي ظريف تسلل أبو العيناء إلي هدفه من سوق تلك الجمل المتراصة ذات الإيقاع المحمود، وأفسح ما شاع فيه عن مبتغاه حين قال " فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويريحني منه بمركوب يضحكني كما ضحك منى، ويمحو بحسنه وفراهته، ما سطره العيب بقبحه ودمامته، وقوله "يريحني منه " جملة تعكس ما ألم بأبي العيناء من رهق وضجر تجاه هذه الدابة التي ابتلى بها، وقوله : " بمركوب – يمحو بحسنه وفراهته ما سطره العيب بقبحه ودمامته " فقد قدم الحل ووضع يد المعطي على ما يجمل به ما قبحه الوسيط وأعتقد أن الوسيط أعطاه سرجًا ولجامًا ، وكانا جيدان فأراد الاحتفاظ بهما والاستزادة بالاستحواذ على مثليهما فقال : ولست أذكر أمر سراجه ولجامه، فإن الوزير أكرم من يسلب ما يهديه أو ينقض ما يُمضيه" حيث إننا نرى رقة العبارات ، وحسن عرضها في أدب جم، وخلق رفيع من المجاز العقلي، ذي العلاقة السببية، تظهر مهارة الأديب في تخير العلاقة الملائمة، فضلاً عن الإيجاز والمبالغة اللذين يتركان عظيم الأثر في نفس السامع ثم يظهر لنا الأديب مدى تعلقه وتأثره بكتاب الله – عز وجل – من خلال اقتباسه[١] الوارد في سياق التشبيه في قوله:" وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) والاقتباس يزيد الكلام قوة وبلاغة كما يضفي عليه حسنًا وجمالاً، والقطعة يسيطر عليها السجع بجرسه المنغم، وتحدث في النفس أريحية تتلقف بها الجملة أثر الأخرى، فكل هذه العبارات والجمل كما ألمحنا تستميل القلوب للترقب والأسماع للإصغاء لا سيما أن هذه العبارات جاءت

(١) الاقتباس : هو أن يضمن الكلام شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه ، الإيضاح : ٣٨١ ، ط دار إحياء العلوم – بيروت ط رابعة ١٩٩٨

خفيفة على الآذان متوافقة مع المعاني مألوفة على الأذهان ، تنم عن مدى ثقافة الأديب وسعة اطلاعه وإلمامه بالأحداث كما أنها تعكس مهارته في انتقاء الألفاظ وتخير العبارات .

وهي رسالة حوت الكثير من الأساليب البلاغية .. وبمعيار الرسائل – المقالات – الحديث استجمعت كافة العناصر ..فالأطراف محددة، وأجزاء الرسالة واضحة فالمرسل أبو العيناء، والمرسل إليه محمد بن عبد الله خاقان، وموضوع الرسالة الظاهر " السخرية من الدابة " وموضوعها الخفي إرادة استبدالها " حتى ولغ في كذب بين (لو لم أكذب مستزيدً لم انصرف مستفيدًا) وهو في رسالته زاوج بين مخاطبة الرؤساء، وما تقتضيه من انتقاء اللفظ – الوزير – وتيقنه من معلوماته – أبو العيناء – أُعلم – فهو مصدر المعلومة لأنه مارسها فهو يخبر عن معلومة استيقنتها نفسه– أعزه الله – جملة اعتراضية غرضها الدعاء، أبا محمد من قدم إليه الدابة مأمورًا من الوزير ،وذكره بكنيته على سبيل التلطف، لأن ما بعده مطوي على الظرف والفكاهة فقدم لذلك بالكنية المحببة وقد قدم حسن التبرير معتمدًا على المفارقة [١]

(يبرني – أعقني ، يركبني – فأرجلني) فحدث صدام بين المحدثات – وهو ما تفعله المفارقة –إذ تفاجأ النفس بما لا تتوقعه، ويفجؤك الكلام بغير ما تتخيله والمفارقة " شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر يخالف –غالبًا – المعنى السطحي الظاهر، ومن ناحية أخرى نجد أن المفارقة اللفظية أعقد كثيرًا من هذا التعريف حيث إنها

(١) وهي المسافة الفاصلة بين ما هو كائن من المعاني وبين ما ينبغي أن يكون ، أو المسافة بين المتوقع وغير المتوقع – بحث المفارقة د سعيد جمعة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تتحقق في مجموعة من المستويات أو يجتمع فيها أكثر من عنصر[١] " أمر لي " لمز لأبي محمد .. فهو لم يقل أعطاني أو منحني ، فالأمر بالشيء يوحي بأنه علّي المكانة فما عليه إلا أن يأمر .. وهناك من يلبي الأمر فلماذا أمر بالهزيل ولم يأمر بالفاره؟!!، ثم يأتي بالتفاصيل الداعية لهذا الحكم المسبق ..– حيثيات الحكم – " الدابة تقف من أقل نبرة تسمعها، وتتعثر بكل هين حتى لو كان بعرا، ثم يزيد سخريته واصفا لها .. قضيب رفيع يابس جاف فتواترت دلائل جفافها، والعاشق المهجور يجف عوده – آنذاك – ، وإنه لنحافته أعاد للرواة ذكرى العذري المجنون العامري " حباقه مقرون بسعاله " سوء المخبر قرن بسوء المظهر .. فهزاله خارجي، ووهنه وضعفه داخلي ، وهذا الهزال واضح متبد للعيان ولو كف عن ذلك لترجى السرعة والوصل، ونجد كلمة الترجي وكأن الأمل يخالطه (ولو أفرد لتعزّيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور،)المجلس المشهور ... كأنه خطيب مرشد لتواصل سعاله، أو شاعر منشد فكأنه يصدر أصواتًا متلاحقة متناسبة ثم يقول إنه لفت نظر من في الطريق المعمور بالصبيان والنسوان ووقوعه على الفعل المضارع (تضحك – تتناغي) يدل على التجدد والحدوث كلما صدر منها صوت ضحك وتناغى النسوان والصبيان... وهناك تلازم فكلما صدر منها صوت استتبعه الضحك والتناغي ، وخص النسوان والصبيان لأن من شأن الأُول التفكه بكل شيء عظيم أم حقير، ومن صفات الأُخر ملازمة الحديث عن كل شيء وخاصة " عجائب المرئيات " ثم يفصل الحلول المطروحة ليتخلص من مأساته (داوه بالطباشير، نوله الشعير) في

(١) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، محمد العبد ص٧١ دار الفكر العربي مطبعة الأمانة ط١ ، ١٩٩٤

سجع مطبوع لا كلفة فيه كالجملة التالية (حفظ الأشعار –وروى الأخبار – لحق العلماء في الأمصار) وسخرية الأديب هاهنا مقبولة فالساخر يقوم " بالتقاط خطأ معين أو مشهد يوحي بفكرة ما فيضخمه ويبالغ في تكبيره وتشويهه أحيانًا حتى يبدو خارج المألوف الطبيعي"(١)

حتى إنه لو أعين بنطق لأفصح، وقال بحق وصدق رواية عن جابر الجعفي وعامر الشعبي وتتابعت الأضداد مما جلى المعنى وأحدث جرسًا " أطاب وأكثر ، أخبث وأنذر) ثم يبرر لم كانت أعطيته بهذه الخسة والضعة

(إنما أُتيت من كاتبه الأعور) وبين صفات هذا الكاتب البعيدة عن المروءة، ووضح أنه تحكمه حالات" إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر" وإن اختار لغيره أخبث وأنزر" ثم أجلى عن غرض من تلك الأوصاف .. النائية عن المكرمات .. ألا وهو – " فإن رأى الوزير أن يبدلني به ويريحني منه بمركوب يضحكني" والباعث على الضحك الفرح الذي يأتي – غالبًا – بتحقيق المراد ، ويوضح صفات المركوب المرجوة " حسن المظهر فرهه ينسيه ما كان من قبيح مركوبه ودمامته ، وهناك تضاد بين " يمحو – يسطر ، حسنه فرهه– عيب قبحه ودمامته ، وسكت عن السرج واللجام ، وأوضح سبب سكوته (فإن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه.) والقطعة حوت كثيرًا من الأساليب البلاغية، وتوظيف التراث وتنوع الأسلوب بين الإنشاء والخبر.

(١) خصائص السخرية في أدب الجاحظ رسالة ماجستير ج القاهرة نسمية راشد ناصر العشب صـ١ ، أ د سهير القلماوي ١٩٨٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب- رسالة أبي الخطاب الصابي[١] إلى الحسين بن صبرة، أجاب بها عن أبي العباس بن سابور جوابًا عن رقعة وصلت من الحسين بن صبرة في صفة حمل أهداه، يقول أبو الخطاب الصابي : (وصلت رُقْعَتك ، فَفَضَضْتها عن خَط مُشْرق ولفظ مُونق، وعبارةٍ مُصيبة، ومعانٍ غريبة، واتساع في البلاغة يَعْجَزُ عنه عبدُالحميد في كتابته ، وقُس وسَحْبَان في خطابته ؛ وتصرف بين جد أمْضى من القَدر، وهَزْلٍ أرق من نسيم السحَر، وتقلب في وجوه الخِطاب الجامع للصَّواب، إلاَ أن الفعل قَصَّرَ عن القول، لأنك ذكرت حَمَلاً، جعلته بصفتك جَمَلاً ، فكانَ المُعَيدِيَّ (٢) الذي تسمعُ به ولا أنْ تراه، وحضر فرأيت كَبْشاً مُتَقَادِمَ الميلاد، من نِتَاج قَوْمٍ عاد، قد أَفْنَتهُ الدهور، وتَعاقَبَتْ عليه العصور، فظننته أحَد الزَّوْجين اللذين جعلهما نوح في سفينته وحفظَ بهما جِنْسَ الغنم لذرِّيته صَغر عن الكبر، ولَطُف عن القدم، فبانَتْ دَمامتُه وتقاصرت قَامَتُه، وعاد ناحلاً ضئيلاً، بالياً هزيلاً، باديَ السقام، عاري العِظام جامعاً للمعايب، مشتملاً على المثَالب، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الحياةِ به، وتأتي الحركةِ فيه؛ لأنه عَظْم مجلد، وصوف مُلبد، لا تجد فوق عظامه سلَبا، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا، لو أُلقِيَ إلى السَّبع لأَبَاه، ولو طرح للذئب لعافَه وقَلاه، قد طال للكلأ فَقْدُه، وبَعُدَ بالمَرعَى عَهْدُه، لم ير الْقَت[٣] إلاَ نائماً، ولا عرف الشعيرَ إلا حالماً، وقد خيّرتني بين أن أَقْتَنيه فيكون فيه غِنَى الدهر، أو أَذبحه فيكون فيه خصْب الرَحل فمِلتُ إلى

(١) زهر الآداب ح٢-٥٨٧ والصابي : هو أبو الخطاب ، ورد ذكره فى جمع الجواهر ، تح البيجاوي صـ٣٥٣

(٢) أصل المثل : تسمع بالمُعَيْدي خيرٌمن أن تراه يضرب لمن خبره خير من مرآه ، مجمع الأمثال ج١، صـ٢٩ ، رقم المثل ٦٥٥

(٣) القت : الرطب من علف الحيوانات – القاموس المحيط قتت

استبقائه لما تعرف من محبتي من التوفير، ورغبتي للتَّثْمير، وجَمْعي للولد وادِّخاري لغَد، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء، ولا مَدْفعاً للفناء؛ لأنه ليس بأنثى فتَحْمِل ولا بفتى فَينْسُل، ولا بصحيح فَيرَعى، ولا بسليم فيَبْقَى؛ فملتُ إلى الثاني من رأييك وعولت على الآخر من قَوْلَيك، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال، وأقيمه رطباً مقام قَديد[١] الغَزال، فأنشدني وقد أُضرِمت النار، وحُدت الشفار، وشمَّر الجزّار :

أعيذهَا نظراتٍ مِنك صادِقَةً أنْ تحْسِب الشحم فيمَن شَحمُه وَرَمُ

وقال : ما الفائدة لك في ذبحي؟ وأنا لم يَبْقَ مني إلا نَفَس خافِتٌ، ومُقْلةٌ إنسانها باهت : لستُ بذي لَحْم، فأَصلح للأكل؛ لأن الدهرَ قد أكل لحمي، ولا جِلدي يصلح للدّباغ؛ لأن الأيام قد مزقَتْ أديمي، ولا لي صوف يصلُح للغزل؛ لأن الحوادث قد حَصَّدت وبَرِي[٢]، فإن أردتني للوَقُود فكفٌّ بعْرٍ أبقى من ناري، ولن تَفي حرارةُ جمري بريح قتاري[٣]، فلم يبق إلا أن تطلبني بذَحْل أو بيني وبينك دَم، فوجدته صادقاً في مقالته، ناصحاً في مَشُورته، ولم أعلم من أي أمْرَيه أعجب؛ أمِن مماطَلَته للدهر بالبقاء، أم من صبره على الضرِّ واللأواء[٤]، أم من قدرتك عليه جمع إعواز مثله، أم من تأهيلك الصديق به مع خَسَاسة قَدْره؟ ويا ليت شعري إذ كنت – وإليك سوق الغنم وأمْرك يَنْفُذ في الضأن والمَعز، وكلُّ كبش سمين وحَمل بطين مجلوب إليك، مقصورٌ عليك – تقول فيه قولاً فلا تُرَدّ، وتريده فلا تُصد، وكانت

(١) اللحم المشرر المقدد – القاموس – قدد
(٢) حصت وبري : قطعته القاموس المحيط (حصص)
(٣) قتار بضم القاف : الشواء – القاموس المحيط – قتر
(٤) اللأواء : الشدة القاموس المحيط – لأى

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هديتك هذا الذي كأنه نَاشر من القبور، أو قائم عند النفخ في الصور، فما كنتَ مُهْدِياً لو أنك رجل من عُرْض الكُتَّاب كأبي على وأبي الخطّاب، ما كنت تهدي إلاَّ كلْباً أجرب، أو قرداً أحدَب)[١]

هذا النص قطعة من النثر الفني في القرن الرابع الهجري، وهي عبارة عن رسالة جاءت في أسلوب هازل ساخر، تصف حَمَلاً بكل صفات النحافة والهزال، يصب الأديب فيها سخريته على الحَمَل، وفي الوقت نفسه يصب سخريته على من أهداه ويرسم صورة تخلع علي الحمل الصفات الإنسانية، بأسلوب التشخيص، ويقصد من وراء كل ذلك الاستهزاء والسخرية بالحسين بن صبرة .

كما أنها من أندر ما كتب في وصف الضأن، وتحكي أيضا نادرة من نوادر الهدايا قال الوطواط (لم أجد في هذا النوع إلا رسالة كتبها أبو الخطاب الصابي إلى الحسين ابن صبره) [٢]

والقطعة الأدبية على وجازتها تخلط الجد بالهزل، وتهدف مع السخرية ترسيخ بعض الدلالات التربوية الخفية، مثل حسن اختيار الهدايا، ومعرفة أقدار الناس، والحيطة من رد أفعالهم إذ تضمن في أعطاف الضحك لفحات العتاب اللاذع في أسلوب مزج بين الخطاب وفن الحوار، فلم تعد رسالة صماء، وإنما هى مقالة حيوية ترسخ مفاهيم وتنقض تصرف، وهي بعد ذلك

---

(١) كما ذكرها النويري (ت ٦٥٨ ه) في نهاية الأرب في فنون الأدب في الجزء العاشر صفحة ٧٦ طبعة دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م وكذا ذكرها محمد بن إبراهيم بن على الأنصاري الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧٨١) في موسوعته مباهج الفكر ، وذكرها زكي مبارك في كتابه : (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) دار الكتب العلمية بيروت ولم يعلق عليه إلا بعبارة أنها (من الفكاهات) .

(٢) مباهج الفكر و مناهج العبر ٦١/١ للوَطْوَاط .

وقبله تتحلى بالسجع غير المتكلف لها، وتتزين بالجزالة اللفظية فى صوغ فكرة تنتقض البخل ولكن بأسلوب ضاحك ساخر.

وعناصر هذه القطعة : فالذي كتب الرسالة هو : أبو الخطاب الصابي .

والمرسل إليه هو الحسين بن صبره .

●والمقام الذي جعله يرسل هذه الرسالة هو أن الحسين بن صبرة كان قد أرسل هدية إلى العباس بن سابور، وهي (حَمَل) ضعيف هزيل لم يكتف بذلك بل ذيله برسالة تملأ المُهدى حنقًا على حنق، أيزين له ذلك الحمل؛ إذ رأى فيه ما لم تهبه الطبيعة، ولا يؤيده الواقع كما سيرد من صفات لو اتصف بها حمل لحاز الكمال كله، وبعث مع (الحَمَل) برسالة يصف فيها (الحَمَل) بصفات عالية، وكأنه (جمل) وكتب في رسالته إلى العباس أنه مخير بين أن يقتنيه ويدخره للزمان، فيكون له زادا وذخرا، وبين أن يذبحه، فيأكل منه وبدلا من أن يأتي الرد على الرسالة والهدية من أبي العباس بن سابور؛ لأنه المعنيٌّ بالرسالة والهدية انبرى أبو الخطاب الصابي ليرد عنه، ويكيل للحسين بن صبرة الهجاء والتبكيت، ويسخر من الهدية ومن الرسالة التي ألحقها بها في أسلوب رقراق، يبعث على الابتسام، ويمزج الجد بالهزل.

●والقطعة يشع فيها كل سمات الكتابة آنذاك وتخضع للأسلوب السائد ويضفي السخرية على الهدية والمهدي ورقعة الإهداء، والنص مكون من مقاطع :

●المقطع الأول: ثناء ظاهري للرقعة المُرْسَلة مع الحَمَل، حيث وصف بلاغتها وما فيها من تصريف اللفظ والعبارة والمعاني الغريبة، وتنوع بين الجد والهزل وتقليب وجوه الخطاب.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

•المقطع الثاني : وصف للحَمَل وهزاله .

•المقطع الثالث : التخيير بين الإبقاء علي الحمل أو ذبحه، وقد اختصره الأديب في جملة واحدة قال فيها: (وقد خيّرتني بين أن أَقْتَنيه فيكون فيه غِنَى الدهر، أو أَذبحه فيكون فيه خصْب الرَحل)

•المقطع الرابع: تجريب الأمرين، أعني الإبقاء عليه أو ذبحه، لأنه همَّ بالذبح فلم يجد فيه لحما، وهم بادخاره فلم يجد فيه غنى، ويحكي ما نتج عن كل تجربة من هاتين التجربتين .

•المقطع الخامس:(السخرية الخاصة بالحسين بن صبرة) وأنه لا يُهدي شيئا فيه نفع، وإنما يهدي (إما كلبا أجرب، أو قردا أحدب) ...

تحليل النص

المقطع الأول : يقول فيه :

(وصلت رُقْعَتك، فَفَضَضْتها عن خَط مُشْرق، ولفظ مُونق، وعبارةٍ مُصيبة، ومعانٍ غريبة، واتساع في البلاغة يَعْجِزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته، وقُس وسَحْبَان في خطابته، وتصرف بين جد أمْضى من القَدر، وهَزْلٍ أرق من نسيم السحَر، وتقلب في وجوه الخِطاب، الجامع للصَّواب).

بدأت بجملة دعائية – أعزه الله – ولأن الرد به من السخرية ما به تلطف مبتدأً بالكنية " أبا محمد"

يقول (وصلت رقعتك) وليس: وصلت رسالتك، أو هديتك أو خطابك، فالتعبير (بالرقعة) يخبئ مفهوم الذم، وأن الذي وصل منه إنما هو شيء قبيح، لأن كلمة الرقعة تعني: الخرق والخلل، فلا يُرقَّع إلا الواهي، وكونها وصلت يعني أنها فُهمت وعُرف المقصود منها، ونحن نستعمل هذا المعنى فى العامية (رسالتك وصلت)

أما قوله: (ففضضتها) فظاهره يعنى أنه قرأ ما فيها، ولكن الكلمة تعنى أنه رد عليها بما يليق، لأن أصل الفض في اللغة هو :الكسر، فالعرب تقول: (فضضت الشيء) أي: كسرته ...وفضضت الخاتم عن الكتاب أي كسرته، وكل شيء كسرته فقد فضضته...وفي الدعاء : لا يفضض الله فاك، أي :لا يكسر أسنانك)[١]، وكأنه يقول: قد رددت علي رقعتك بما يبطلها، وهذه البداية تعد من براعة الاستهلال [٢] والجملة ظاهرها مدحًا لكنه ابتغى قدحًا حينما أثنى على الكلام إلا إنه عاب المعنى

وأكد هدفه بقوله (خَط مُشْرق، ولفظ مُونق، وعبارةٍ مُصيبة) وكل هذا وصف للشكل والمظهر، فالخط المشرق يعني :الواضح الظاهر، واللفظ المونق يريد: اللفظ الجميل الفصيح الذي يظهر معناه في الكلام، والعبارة المصيبة يعني الصحيحة نحويًا، فلا خطأ فيها ولا تحريف في بنائها ... وكل ذلك شيء، والمعانٍ الغريبة شيء آخر، وهو ما تناوله بالقدح .

و كلام (أبي الخطاب الصابي) يعتمد على السجع في البناء النغمي ، إذ يتوافق الحرف الأخير، فقال:(خط مشرق، ولفظ مونق) كذلك قوله : (وعبارة مصيبة ومعاني غريبة) السجع أحدث نغمًا جميلًا وبخاصة حين يوصف الكلام بأنه يعجز عنه عبد الحميد وقس وسبحان، وهؤلاء هم من

---

(١) لسان العرب ٩/ ١٨٦

(٢) براعة الاستهلال عند البلاغيين أحد فنون علم البديع ، وهو كون الابتداء مناسبا للمقصود، أو هو : البدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود من النص ... مع حسن سبك، وعذوبة لفظ، وصحة معنى) انظر مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ص ٢٩٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هم[١]، ويصف عبارات الرقعة وتنوعها: (جد أمْضى من القَدر، وهَزْلٍ أرق من نسيم السحَر) وهذه مقابلة بلاغية تضع الرسالة في أوج ظهورها، لأن المقابلة أحد مظاهر تحسين المعاني بذكر أضدادها، فلا يظهر الحسن إلا بذكر الأضداد، ولفظ (الجد) في الجملة الأولى يقابله لفظ (الهزل)،كما أن كلمة (أمضى) تقابلها كلمة (أرق)، وكأنه كما قال يقلب في وجوه الخِطاب، لينتخب ما يوافقه في الصَّواب، فهو يثني على الرسالة

ثم جاء بجملة (إلا أن الفعل قصر عن القول) وهذه الجملة فاصلة بين المقطع الأول [٢] وتنتقل من حالة الثناء إلى حالة الهجاء في المقطع الثاني، وقصور الفعل عن القول يعني أنه لا يجيد إلا الكلام، ولا يحسن إلا النطق، وقد ذم القرآن الكريم هذا الصنف من الناس فقال سبحانه وتعالى :

---

(١) عَبْد الحَميد هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري، المعروف بالكاتب: (ت ١٣٢ه) عالم بالأدب، ومن أئمة الكتاب. ويضرب به المثل في البلاغة، حتى قيل: (فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد) وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٣/ ٢٢٨ ت: إحسان عباس ... أما (قس) فهو : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية. وأول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه " أما بعد " وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النّبوّة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يحشر أمة وحده...أما (سحبان أو سبحان) فهو الّذي يضرب به المثل في البلاغة. ومعروف بسحبان وائل ابن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وكان خطيب العرب غير مدافع، وكان إذا خطب لم يعد حرفا، ولم يتلعثم ولم يتوقّف ولم يتفكر، بل كان يسيل سيلا. انظر في ذلك خزانة الأدب للبغدادي ٤: ٣٤٧ ومجمع الأمثال ١: ١٦٧

(٢) قولهم قلب له ظهر المجن أي انقلب عما كان عليه من وده ، والمجن الترس انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢/ ١٢٥

(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ كَبُرَ مَقتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفعَلُونَ)[١] ثم ينتقل من المدح إلي القدح ثم بدأ يعلل ويفسر ما سبق إجماله واستهله بوصف الهدية (الحمل) فقال :

(لأنك ذكرت حَمَلاً، جعلته بصفتك جَمَلاً، فكانَ المُعَيدِيَّ الذي تسمعُ به ولا أنْ تراه وحضر فرأيت كَبْشاً مُتَقَادِمَ الميلاد، من نِتَاج قَوْمٍ عاد، قد أَفْنتهُ الدهور، وتَعاقَبَتْ عليه العصور، فظننته أحَد الزَّوْجين اللذين جعلهما نوح في سفينته، وحفظَ بهما جِنْسَ الغنم لذرِّيته، صَغر عن الكبر، ولَطُف عن القدم، فبانَتْ دَمامتُه، وتقاصرت قَامَتُه، وعاد ناحلاً ضئيلاً، باليـاً هـزيلاً، باديَ السقام، عاري العِظام، جامعاً للمعايب مشتملاً على المثَالِب، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الحياةِ به، وتأتي الحركةِ فيه؛ لأنه عَظْم مجلد، وصوف مُلبد، لا تجد فوق عظامه سلَبا، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا، لو ألقِيَ إلى السَّبع لأَباه، ولو طرح للذئب لعافَه وقَلاه، قد طال للكلإ فَقْدُه، وبَعُدَ بالمَرعَى عَهْدُه، لم ير الْقَت إلاَ نائماً، ولا عرف الشعيرَ إلا حالماً .)

وهذه الفقرة هي أطول فقرات النص، وبدأها بجملة تعليلية، ليوضح له لما كان القول جميلا والفعل قبيحا، وأول هذه التعليلات أنه أرسل مع الكلام (حَمَلا) والحَمَل هو : الصَّغير من الضأن، ثم سخر من هذا الحمل، لأن المرسل ظن أنه جمل، وهناك تقارب في اللفظين، فبينهما جناس مضارع، كذلك بينهما تباعد في المضمونين[٢] (حمل – جمل)، ثم دعم كلامه الناص على الاختلاف بالمثل الشائع بين العرب (تسمع بالمُعيْدي لا أن

(١) سورة الصف أية رقم ٢ وما بعدها .

(٢) أحد أقسام الجناس ، وهو ما اختلف فيه اللّفظانِ المتشابهان في نوع حرف واحدٍ مع تقاربهما في النطق .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تراه) [١] وقال :(فكانَ المُعَيدِيَّ الذي تسمعُ به ولا أنْ تراه) وكأن الحمل يشبه المعيدي الذي يحسن بالناس أن يسمعوا عنه، ولا يحسن بهم رؤيته لأنه قبيح المنظر هزيل الجسم، ومع ذلك يخاف الناس منه، ويحسبون له ألف حساب، والمعنى : إن الكلام الذي قلته عن الحَمَل صوَّره لنا على أنه جمل فلما رأيناه احتقرناه، كما احتقر النعمان المعيدي [٢]، فخَبَرُه خَيْرٌ من مَرْآه، لأنه حين حضر رأى كبشًا، ولم ير جملا كما صورته، ثم بدأ يسوق الصورة إثر أخرى في سخرية راصدة، وعبارة مكثفة .

(متقادم الميلاد، من نتاج قوم عاد، قد أفنته الدهور، وتَعاقَبَتْ عليه العصور) وهذا كله من قبيل التندر والفكاهة، كما أن هذه الجمل مترادفة الدلالة، فكونه(متقادم الميلاد) يعني أيضا أنه (من نتاج قوم عاد) وكذلك يعني أنه (أفنته الدهور، وتعاقبت عليه العصور) والسجع أفصح عن المعنى المراد...، وهو قدم هذا الكبش، حتى أفنته الدهور، وتعاقبت عليه العصور ..... ثم قال :(فظننته أحَد الزَّوْجين اللذين جعلهما نوح في سفينته، وحفظَ بهما جِنْسَ الغنم لذرِّيته)، أي أنه ظن أن هذا (الحمل) بسبب ضعفه وهزاله أحد الزوجين اللذين ذكرتهما الآية الكريمة) (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلنَا ٱحمِل فِيهَا مِن كُلّ زَوجَينِ ٱثنَينِ وَأَهلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيهِ ٱلقَولُ وَمَن

(١) اصل قولهم (تسمع بالمعيدي لا ان تراه) ان رجلا من بني تميم يقال له ضمرة كان يغير على مسالح النعمان بن المنذر حتى إذا عيل صبر النعمان كتب إليه أن ادخل في طاعتي ولك مائة من الإبل فقبلها وأتاه فلما نظر إليه ازدراه وكان ضمرة دميما فقال (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) فقال مهلا أيها الملك إن الرجال لا يكالون بالصيعان وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه) انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/ ٢٦٦

(٢) المعيدي تصغير المعدِّي مشدد بالدال، ثم خففت عند التصغير كراهية اجتماع الساكنين .

ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيل)[1]، فحمل مكث على كر الليالي والأيام كيف تبدو هيئة هذا (الحمل) ؟ ! ثم إنه ذكر أن المقصود منه حفظ الذرية، مما يترتب عليه التحذير من الذبح، وهذا من أندر ما قيل.... فماذا يفعل به إذا أيمسكه على هون أم يدسه فى وعائه، ثم أخذ أبو الخطاب الصابي يرصد أوصافه ويسوقها في عبارات بليغة وقد سماه متندرا (كبشا) إنه: (صَغر عن الكبر، ولَطُف عن القدم، فبانَتْ دَمامتُه، وتقاصرت قَامَتُه، وعاد ناحلاً ضئيلاً، بالياً هزيلاً، باديَ السقام، عاري العِظام، جامعاً للمعايب، مشتملاً على المثَالب، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الحياةِ به وتأتِّي الحركةِ فيه؛ لأنه عَظْم مجلد، وصوف مُلبد، لا تجد فوق عظامه سلَبا، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا، لو أُلقِيَ إلى السَّبع لأَباه، ولو طرح للذئب لعافَه وقَلاه، قد طال للكلأ فَقْدُه، وبَعُدَ بالمَرعَى عَهْدُه، لم ير الْقَت إلاَ نائماً، ولا عرف الشعيرَ إلا حالماً)، فقد نص على المعايب والمثالب والنواقص فى جمل متلاحقة متساوية مما يعطى نغمًا ترتاح له الأذن ثم ذكر في أوصافه لهذا الحمل أو الكبش أنه:(صَغر عن الكبر، ولَطُف عن القدم) أي أن الناظر إليه لا يعرف، هل هو صغير أم كبير ؟ وهل هو جديد أم قديم ؟ إنه ليس بهذا، ولا ذاك، إنه يحيّرك، ويستفزُّك، لكن في النهاية لا ترى إلا دمامة، وقصر قامة، ونحولا وهزالا، وسِقامًا باديًا وعظاما عارية .... لن ترى إلا مجموعة معايب، ومنظومة مثالب ...

ثم زاد وأفاض وكأنه لم يؤدِ بغيته، ولم يخرج مكنون صدره فقال : (لأنه عَظْم مجلّد وصوف مُلبّد، لا تجد فوق عظامه سلَبا، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا، لو أُلقِيَ إلى السَّبع لأَباه، ولو طرح للذئب لعافَه وقَلاه، قد طال

(١) سورة هود آية ٤٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

للكلإ فَقْدُه، وبَعُدَ بالمَرعَى عَهْدُه لم ير الْقَت إلاَ نائماً، ولا عرف الشعيرَ إلا حالماً)، وقوله (لأنه) لذا سيبرر لما عاد إلي ما فرغ منه ولما استمر فى إعطاء الصورة تلو الأخرى محاولًا تجسيد نحافته ومصورًا لشدة هزاله، حتى إنه وصف العظام ثلاث مرات فقال: إنه (عظم مجلد – لا تجد فوق عظامه سلَبا– ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا)، فهو لم ير منه إلا العظام فهي تارة(عظم مجلد) ويزيد الصورة إيضاحًا (لا تجد فوق عظامه سلبا)، ويقصد بالسلب اللحم، واستعار السلب للحم، وحقيقتها: اللحم، وأردف ذلك بصورة ثالثة آلا وهي أن هذا الكبش عبارة عن قطعة من الخشب التي لا تنفع ولا تغني، ليس هذا فحسب بل إنه لو سيق إلي الوحوش الضارية " أسد أو ذئب لعافوه لخلوه من اللحم ومما يرغب .... ولا عجب من نحافته و غرابه من هزاله فقد (قد طال للكلإ فَقْدُه وبَعُدَ بالمَرعَى عَهْدُه) وكأن تلك العبارة تفسير وتوضيح جديد وبناء العبارة بتأخير الفاعل، ووضع شبه الجملة بين الفعل والفاعل يشوق لاستكمال المعنى، وهذا توافق عجيب في مجيء البناء على سمت المعاني، وهو ما حدث في الجملة التالية وهي (وبعد بالمرعى عهده) فغناء العبارة ونسقها ساهم في إبانة المعنى المقصود، ثم كثف تصوير احساس الفقد للكبش، ولشدة جوعه وسوء تغذيته، وأثر ذلك كله على جسده، فقال: (لم ير الْقَت [١] إلاَ نائماً، ولا عرف الشعيرَ إلا حالماً) وحصر رؤية القت والشعير في الأحلام تفسر نحافته، فهو لم يطعم قط إضافة إلي إنها تتهم من أهداه بأنه لا يطعمه فهو مقتر بخيل، ثم

---

(١) القت : نوع من النبات يُجَزّ بالمنجل علفاً للدواب ، وله أسماء كثيرة مثل : العض ، والفسافس ، ويسميه المتأخرون : البرسيم ، فالقت هو الجاف منه ، وأما الرطب فيسمى القضب . انظر : لسان العرب مادة : (قت).

انتقل من المرئيات إلي المقروءات ومن السخرية من الحمل المرئي إلي السخرية من الرسالة التي أرسلها الحسين بن صبرة والتي ذكر فيها التخيير فقال: (وقد خيّرتني بين أن أَقْتَنيه فيكون فيه غِنَى الدهر أو أَذبحه فيكون فيه خصْب الرَحل) وبدأها بلفظة تثير الإضحاك فلا اقتناء إلا لما ثمن وغلى، والعبارات الوصفية السابقة تلح على نحافته وضعفه لذا فهو مزهود فيه من الرائين لكن لفظة – اقتناء- أي استبقائه كما اقترح الهادي تدل على أن ثمة إشكالية !! ثم توالت الألفاظ الإيحائية لترفع من درجة السخرية وتتابعت الجمل مزيدة من كثافتها .

(فيكون فيه غنى الدهر، فيكون فيه خصب الرحل) تماثل بناء الجملتين، الفعل مقترن بالفاء تقديم شبه الجملة، تأخير اسم كان مما أحدث وأشاع نغمًا لطيفًا .

المقطع الرابع : مرحلة تجريب المقتَرَحَين .اللذين طرحهما عليه الحسين بن صبره

مال المُهدى- الصابي- في البداية إلى الإبقاء علي الحمل وتوفيره، متصورًا أن الإبقاء عليه يعني غنى الدهر !!كما زعم الهادي ! وغنى الدهر أعلى شأنًا من خصب الرحل، ولا سيما أن النصيحة موجهة إليه من الحسين بن صبره، ويشير للعلاقة بينهما قال: (لما تعرف من محبتي للتوفير .... إلخ

المهم أنه بدأ بالخيار الأول وهو إبقاؤه واستثماره، وبخاصة أن له أولادا يدخر لهم امتثالا لكلام النبي صلى الله عليه وسلم (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)[١] لذلك قال:(فمِلتُ إلى

(١) – صحيح البخاري ١/ ٥٨٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير، ورغبتي للتَّثْمير، وجَمْعي للولد، وادِّخاري لغَدٍ)، لكن سرعان ما تغيير رأيه لاستبانة عدم جدواه إذ تبين إن هذا الحمل لا يتناسل، ولن ينجب، وقد لا يطول عمره، مما دفعه ليميل إلى الاختيار الثاني وهو الذبح، وعبر عن ذلك بقوله:(فملتُ إلى الثاني من رأييك، وعولت على الآخر من قَوْلَيك، وقلت: أذبحه فيكون وظيفة للعيال، وأقيمه رطباً مقام قَديدِ الغَزال)

وقوله (الثاني من رأييك) يؤكد على أن هذه المقترحات كانت من عند الحسين بن صبرة – توهمًا بأنه أهدى جملا ذو شأن لا حملًا لا ضل له– واستمر في السخرية متوافقًا مع السخرية وكأن الحمل حقًا جمل لذا سيستخدمه (وظيفة للعيال) أي يأكلون لحمه، ويدبغون جلده، وينشغلون بما يبقى منه، فكأنه وظيفة تشغلهم، وعمل يلهيهم، وهو هنا يعلى من السخرية وكأنه مذبوح ضخم سينشغل الجميع بلحمه وجلده وعظمه، لكن حتى تنفيذ الاقتراح الثاني صعب وعسر إذ إن الحمل أنشده شعرا يتوسل فيه إليه بأن يتركه " فأنشدني " وتم ذلك في وقت عصيب بعد تهيئته للذبح " وقد أُضرِمت النار، وحُذَّت الشفار ، وشمَّر الجزّار" :

أعيذهَا نظراتٍ مِنك صادِقَةً أنْ تحْسِب الشحم فيمَن شَحمُه وَرَمُ

وقال:(ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يَبْقَ مني إلا نَفَس خافِتٌ، ومُقْلةٌ إنسانها باهت: لستُ بذي لَحْم، فأَصلح للأكل؛ لأن الدهرَ قد أكل لحمي، ولا جِلدي يصلح للدّباغ، لأن الأيام قد مزقَتْ أديمي، ولا لي صوف يصلُح للغزل؛ لأن الحوادث قد حَصَّدتْ وبَرِي، فإن أردتني للوَقُود فكفٌّ بعْرٍ أبقى من ناري، ولن تَفي حرارةُ جمري بريح قتاري، فلم يبق إلا أن تطلبني بذَحْل أو بيني وبينك دَم، فوجدته صادقاً في مقالته، ناصحاً في مَشُورته، ولم أعلم

من أي أمْرَيه أعجب؛ أمِن مماطَلَته للدهر بالبقاء، أم من صبره على الضّـرِّ واللأواء، أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله، أم من تأهيلك الصديق به مـع خَسَاسة قَدْره ؟)

فلا فائدة ترجى منه بحال في مفارقات ساخرة متوالية " إذ كل مفارقة تحتوي علي سخرية وليس كل سخرية تحتوى على مفارقـة، والتنـاقض والسخرية يشكلان عنصرين من عناصر البناء المفارقي، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ترجمة المفارقة إلـي PARADAX أو SARCASM- [1] والجمل بعضها في عقب بعض تشع منها المفارقة وذلك البيت الشعري مـن قصيدة المتنبي التي يخاطب فيها سيف الدولة ويشير إليه أنه سمع فيه كلام الأعداء ، ومطلعها هو :

وَاحَرّ قَلْباهُ ممّنْ قَلْبُـــهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ

واستطرد الصابي فى ذكر الصوارف عـن تنفيـذ مـا عزمـه فـأولا استعطاف الحمل وتشفعه ببيت المتنبي، ثم يقينه أنه لا مردود له في ذبحه، علاوة على إشفاقه لأنه أشرف على الموت وحده دون ذبح، إضـافة إلـي إدراكه أنه لا لحم له ولا شحم، ولا جلد ولا صوف، حتى إن عظامه لا تصلح أن تكون وقودا أو جمرا، فقد خلى من كافة الفوائد الدافعة لذبحه مما حـدى به أن يصرفه عن الذبح، إضافة إلي أن الذبيح أعير عقلاً متخـيلاً مناقشًـا للذابح فها هو ذا يحاجيه بقوله: ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وهذا خطاب عقل متخيل، ليستزيد من الاستهزاء والسخرية بمن أهداه والحيوان هنا – الحمل

(١) المفارقة في مقامات الحريري مقاربة بنيوية كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية جامعة الحاج الخضر ، صـ ٥٤ نقلا عن بنية السخرية والمفارقة صـ٨٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– موضوع الرسالة – أصل المفارقة فقد وضعه الكاتب نصب عينه ثم أخذ يعدد مواقف الثلاثة منه المرسل والمرسَل إليه وموقفه هو ذاته – الحمل " فأنشدني ... وقال ما الفائدة لك في ذبحي" والسخرية هاهنا اعتمدت على" المفاجأة والتناقض[١] " فقد حصر" الحمل في اللا فائدة فلا لحم ولا جلد ولا صوف ولا بعره حتى يقيم نارًا" واللغة في القطعة إيحائية كثيفة الظلال عن اللغة المباشرة وسخرية المفارقة ألطف من السخرية المجردة " فسخرية المفارقة لا تعنى الهجوم المباشر والوصول للهدف بقدر ما تعني غرضًا آخر قريبًا وهو الإضحاك " إذن كل مفارقة تحتوي على سخرية، وليس كل سخرية تحتوى على مفارقة " إذ أن هذا البخيل أهدى مخلوقا له(نفسٌ خافت)، وهذا كناية عن الضعف الشديد، وله (مقلة إنسانها باهت) وهذا أيضا كناية عن اقتراب الموت، فلقد أشرف على الهلاك، وقوله(الحوادث حصّدت وبري)[٢] مجاز عقل إذ أسند الفعل " أكل " و " مزقت " و " حصَّت " إلى غير فاعله الحقيقي، لأن الدهر لا يأكل لحما، والأيام لا تمزق أديما، والحوادث لا تحص وبرا، وإنما الذى يفعل ذلك ما يحدث خلال تلك السنون والأيام من أحداث والذى سوغ ذلك هو كون الدهر والأيام زمنا لتلك الأحداث، فالعلاقة بين المعنيين هى الزمانية، ولأن الحوادث سبب لها ....، ومن الممكن أن يكون هذا التعبير من قبيل الاستعارة المكنية، شبه من خلاله الدهر والأيام والحوادث بوحش فتاك ذى مخالب قوية، وأنياب حادة انقض على هذا الكبش فقطعه ومزق أوصاله، فلم يعد صالحا لحمه للأكل ولا جلده للدبغ ولا صوفه للغزل، واعتباره من المجاز العقلي أوجه وأقرب للسياق لأن هذا الكاتب يريد أن يصور أثر الزمان والأيام على هذا الكبش النحيف

(١) خصائص السخرية صـ ١

الضعيف، وما فعلته به فلم يعد صالحا إزاء ذلك لأي شيء مما يمكن الانتفاع به من أكل لحمه أو دبغ جلده أو غزل صوفه، فهو عديم النفع مسلوب الفائدة، ولذلك فلا قيمة لذبحه "وكانت هديتك هذا الذي كأنه ناشر من القبور" العبارات الساخرة قد يأتيها الكاتب " جادًا أو متفكهًا مداعبًا، أي إنه قد يستوحي إرادته ومشاعره أو يستملي عقله، فإن كانت الأولى فهو هاج منغم وإن كانت الثانية فهو ساخر يركب ما بدا له – بالدعابة [١] " حصَّدت وبري " أي قطعته وفرقته شذر مذر، حتى إن عظامه لا تصلح أن تكون جمرا ، لأن كفّ بعرٍ أصلح للوقود من عظامه، وأبقى من ناره، و(ريح القُتار) بضم القاف يقصد بها ريح الشواء، أو ريح القدر، وقد تكون من الشواء أو العظم المحترق [٢] وكل ذلك مدعاة لصرفه عن الذبح ... إلا أن يكون الباعث قويًا وهو ما قاله الحمل " اللهم إلا إذا كان بيني وبينك ثأر، وهذا هو المقصود من قوله : (فلم يبق إلا أن تطلبني بذَحْل أو بيني وبينك دَم)، مما أرشد الهادي لتغيير موقفه فقال:(فوجدته صادقاً في مقالته، ناصحاً في مَشُورته)، ثم تعجّب، وكان عجبه ناشئا من عدة أمور، وكل واحدة أعجب من الأخرى :

الأول: عجبه من بقاء هذا المخلوق على وجه الحياة، وكأنه يماطل الدهر بالبقاء وهذه صورة استعارية تمثيلية عجيبة، ترسم مشهدا خياليا، يبرز العلاقة بين الحمل والموت المعبر عنه بالدهر، وكلما أراد الدهر إنفاذ ما أمر به من طي المخلوقات والإتيان بغيرهم وجد هذا المخلوق يماطله، ويظهر له من الأسباب ما يجعله يؤخره إلى حين، وهذا من أعجب العجب .

(١) حصاد الهشيم إبراهيم عبد القادر المازني صـ٣٠١-٣٠٢ ، ط٢ ، ١٩٤٢
(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (ق ت ر)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والثاني : عجبه من صبر هذا الحمل على الضّرِّ واللأواء ، وتحمله لهذا الجوع.

والثالث: عجبه من قدرة الحسين على هذا الحمل، وكأن الحمل سبع جسور، مع أنه معوز هزيل، وهذا من أشد أساليب الاستهزاء .

الرابع: العجب من إهداء هذا الحمل للصديق مع خساسة قدره، فالهدايا ينبغي أن تكون على أقدار أهلها، فلا تكون إلا من الأشياء الغالية الثمينة، أما أن يهدى أحد لصديقه حملا بهذه الأوصاف، فهذا مما يستوجب العجب .

المقطع الخامس : السخرية الخاصة بالحسين بن صبرة : وهذا المقطع الأخير يصور شدة بخل ابن صبرة، وأن هذه الهدية التي أرسلها كانت وبالا عليه، وبخاصة أن له اليد الطولى، وأنه من الموسرين، فلا عذر له، ولو أراد أن يهدي الثمين الغالي لفعل، ولكنه البخل الذي أذله، وجعله يسمع ما يكره ، فقال :

(ويا ليت شعري إذ كنتَ – وإليك سوق الغنم، وأمْرك يَنْفُذ في الضأن والمَعز، وكلُّ كبش سمين وحَمل بطين مجلوب إليك، مقصورٌ عليك – تقول فيه قولاً فلا تُرَدّ وتريده فلا تُصد، وكانت هديتك هذا الذي كأنه نَاشر من القبور، أو قائم عند النفخ في الصور، فما كنتَ مُهْدِياً لو أنك رجل من عُرْض الكُتَّاب، كأبي علي وأبي الخطّاب، ما كنت تهدي إلاَّ كلْباً أجرب، أو قرداً أحدَب) فقد أنبأه أنه يعلم بمكانته وقدرته وحرية تصرفه في السمين والبطين لذا نرى هنا تعجبًا وسخرية إذ كيف يهدى هذا الهزيل النحيف ؟ !! فى مفارقة تعبر عن تفكير نقدي وجاءت في النص السابق غير مباشرة ... لكن تواجدها كثيف زاه، ومعنى (ليت شعري) أي: ليتني عَلِمت كيف تهدي

هذه الهدية، رغم أن الغنم تُساق إليك، وأمرها مقصور عليك، وأمرك فيها نافذ، وقولك فيها لا يرد، وما تريده لا يصد .... كل هذه الامتيازات ثم تهدي هذه الهدية، أليس ذلك من العجب العجيب ؟! تأتينا بحملٍ، كأنه ناشر من القبور، أو قائم عند النفخ في الصور ؟ !، وما بين (إذا كنت) و(تقول) كلام معترض، يقصد من ورائه المبالغة في التشنيع عليه، والمعنى: إذا كان هذا حالك ثم تهدي هذه الهدية فما أقبحك وما أبخلك، وفي وصفه لحاله ذكر صفات تشعر بأنه تاجر لهذا النوع من الماشية، أو صاحب مزارع وزراعة يحتاج إليها كل الرعاة، ومن هذه الأوصاف :

أن الناس يسوقون إليه الغنم، أن كلامه نافذ في الضأن والماعز، أن كل كبش سمين وحمل بطين مجلوب إليه مقصور عليه، ولا شك في أن من كان هذا حاله ثم يبعث بهدية من الضأن ضعيفة هزيلة كأنها ماتت قبل ذلك ثم قامت من الموت إلى النشور بعد أن سمعت النفخ في الصور، وكأنها من الكافرين الذين (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)[١]

فمن كان هذا حاله، وجب ذمه، وحق السخرية به، ولو أنه حاول التشبه بالكرام مثل أبي علي[٢]، وأبي الخطاب، فلن يهدي أيضا إلا كلْباً أجرب، أو قرداً أحدَب، لأن نفسه خبيثة، وطبعه بخيل وقيمة الهدية من قيمة الهادي

(١) سورة المعارج آية رقم ٤٣ وما بعدها .

(٢) يريد بأبي الخطاب : نفسه ، ويريد بأبي علي الشاعر البليغ الذي كانت بينه وبين أبي العيناء مهاجاة ، ومكاتيب طيبة – الفهرست لابن النديم صفحة ١٣٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نموذج من الألفاظ والصور الساخرة في الشعر والنثر: لو ألقينا نظرة عامة على الصور والمعاني والموسيقى الألفاظ التي وردت في نصوص السخرية إذ رأيت هناك أفكارا ُأتت تكاد تتحد لكن طريقة الأداء تباينت بين النظم والنثر.

فشاة سعيد: قديمة(مكثت زمانًا)و(حمل الصابي) متقادم الميلاد – من نتاج قوم عاد ...

١-فكرة كبر سن المُهدى (شاة سعيد -حمل الصابي) شاة سعيد قديمة (مكثت زمانًا) وحمل الصابي أكد على هذا المعنى في فقرات متوالية (كبشا متقادم الميلاد ... سفينة ..

٢-منع الطعام وحجبه عن كليهما حمل الصابي (قد طال للكلأ فقده وبعد بالمرعى عهده)

٣- شاة سعيد تنمنى الإطعام، وتحلم به،(مرت على علف فقامت ... لو أبصرت في نومها علفًا .. مرت بقطف خضر .. أبصرت رجلاً حاملًا علفًا .. حمل الصابي (لم ير القت إلا نائمًا، ولا عرف الشعير إلا حالمًا)

٤-شدة الهزال المزهد فيهما شاة سعيد (نضوا تعافرت الكلاب بها ... سلها الضر والعجف ...) حمل الصابي (لأنه عظم مجلد، وصوف ملبد لا تجد فوق عظامه سلَبا، ولا تَلْقَى يدك منه إلا خَشَبا)

٥-موقف المجتمع منهما: شاة سعيد (الضحك من الشاة فإذا ملأ ضحك بها المجتمع -الراعون -عبرة لنا في شاتك العبر- في أمرها عبر)حمل الصابي تعجب العاقل من حلول الحياة به وتأتي الحركة فيه) والنص على تعجب العاقل " لأن غير العاقل يمر على تلك الأعجوبة الحية ولا تلفت نظره أما العاقل فتستوقفه تلك المعجزة، والحمل يوقع المجتمع في حيرة من تحديد هويته(فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء، ولا مَدْفعاً للفناء؛ لأنه ليس بأنثى فتَحْمِل ولا بفتى فَينَسُل، ولا بصحيح فَيرَعى ولا بسليم فيَبْقَى)

٦-موقف (الهدية -الشاة الحمل) من السخرية منها بالغة الحس شاة سعيد طالبة (لا تهزأ بي وارحموني ترحموا.. غنت له ودموع العين تنحدر وهي تغنى من سوء حالتها، قد تغنت تتغنى) نلاحظ اختياره لفظة غنى والغناء يكون في الفرح الشديد أو الحزن والألم الباعث على الشجن الشديد وغالبًا هو الموجه للشاة لتجسيده معاناتها المادية بفقد الكل والعشب، ومعاناتها المعنوية بسخرية الملأ والمُهْدى إليه منها، حمل الصابي (نقص لحمه، وقل شحمه، ورق عظمه) لكن زيدت فصاحته وكملت حجته ونصع منطقه، وأبطل حجة الراغب في ذبحه (ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يَبْقَ مني إلا نَفَس خافِتٌ، ومُقْلةٌ إنسانها باهت: لستُ بذي لَحْم، فأَصلح للأكل؛ لأن الدهرَ قد أكل لحمي، ولا جِلدي يصلح للدّباغ، لأن الأيام قد مزقَتْ أديمي، ولا لي صوف يصلُح للغزل لأن الحوادث قد حَصَّدتْ وبَرِي، فإن أردتني للوَقُود فكفٌّ بعْرٍ أبقى من ناري ولن تَفي حرارةُ جمري بريح قتاري، فلم يبق إلا أن تطلبني بذَحْل أو بيني وبينك دَم).

٧-لمز المهدي والسخرية من بخله ومن هديته ..هجاء سعيد الذى مسك الطعام عن شاته حتى أحوجها إلي (الأبيضين الشمس والقمر – مسها الضرر – حالتها ساءت وصارت شويهة) فهو بخيل منع معروفه وطعامه عن الشاة الصابي هجى المُهدي هجاءً لاذعًا بجمل متلاحقة وكأنه لم يلتقط أنفاسه حتى أخرج ما في جعبته من سخرية وسُباب (أم من قدرتك عليه جمع إعواز مثله، أم من تأهيلك الصديق به مع خَسَاسة قَدْره ؟)...فنلاحظ اشتراك المعاني والألفاظ الساخرة بين الشعر والنثر مما يدل على ثراء اللغة العربية وبلاغة المتحدثين بها الذين أحسنوا توظيف ألفاظها وتسكين معانيها في أماكنها شعرًا ونثرًا .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخـــــــاتمة

دارت مادة سخر فـــي القـــديم والحـــديث حـــول معنـــى الاســـتخفاف والاستهزاء والسخرية وهي فن أدبي راق نتاج عوامل اجتماعية وسياســـية وثقافية تؤثر في وجوده، وأجود السخرية ما وصل إلي الغاية وبلغ المـــراد بلا إفراط أو تفريط، ووجود السخرية في الأدب العربي القديم ودعم الإسلام لها يؤكد أريحية العربي، وإقباله على الحياة يعينه في ذلك لغة طيعة وطبـــع موات، والسخرية جاءت في النثر كما جاءت في الشـــعر وســـيقت أنماطًـــا منوعة ... وموضوعات شعر السخرية .. العيوب الجســـمانية والمظهريـــة الطباع والمواقف بل كانت هناك سخرية من الألفاظ والعبارات، إضافة إلـــى السخرية من الأمراض الاجتماعية والأخـــلاق الفاســـدة والســـلوك الشـــاذ، السخرية من الأدواء، مثل الدين فـــي المـــرائين والمتـــدينين والمتزهـــدين والمتصوفين.

البناء الفني للقصيدة الساخرة لم يختلف عن البناء الفنـــي للقصـــيدة العربية إذا جاءت على أشكالها الثلاثة مقطوعة منفصلة قصيدة كاملة، جزء من قصيدة .

البناء اللغوي لم يقتصر التركيب اللغوي الساخر على بناء خاص به بل شارك اللغة بشكل عام استخدام مفرداتها، وإن كان أكثر من استخدم تراكيب هزلية عن غيرها من التراكيب واشتهرت بعض تلـــك التراكيـــب لاقتصـــار دلالتها على السخرية (طيلسان بن حرب – شاة سعيد –أبو العيناء– حمـــل الحسين بن أبى صبرة ورد أبي الخطاب الصابي) وفـــق الســـاخرون فـــي اختيارهم البحر الشعري فتوافقت الدلالة مع البناء وأجـــادوا فـــي عـــرض التجربة الشعرية ، الأوزان الشعرية الطويلة غلبت أيضًا على شعر السخرية

وقد وازن الشعراء في استخدام التراكيب اللغوية واستعمال الظواهر الأسلوبية فجاءت بعيدة عن التكلف، خالية من التصنع، متمكنة في موضعها مستقرة مع غيرها محققة لعناصر الجودة والجمال في العمل الفني، تبارى الشعراء في سبك تجاربهم وصبها في هيكل سخري يبعث على الإضحاك، ويبتعد عن السآمة، وينقل حرارة التجربة ويجيد اكتمال تصويرها، فالصورة تعانقت مع اللفظ لتجسيد الموقف وصولاً لقمة السخرية .

احتلت الأبيات الساخرة إما درجات حتى سلم القصيدة، أو كانت "قطعة منفصلة " ليست بالطويلة لتناسب الفكرة الساخرة، والفكرة الساخرة تنساب في العمل الفني وتملؤه حتى تؤدى كاملة بنهايته وكأنها جزئيات أو أعضاء تنطلق في تكوينها لتستكمل الفكرة التي يريدها الأديب، والمفردات اللغوية المستخدمة في الكتاب زاوجت بين العبارات المفهومة المتداولة والعبارات الصعبة غير المتداولة، اتحدت عناصر الإيقاع والموسيقى مع غيرها من وحدات الكتاب الفني فاتت التجربة متكاملة، حفلت اشعار السخرية بعديد من الظواهر الأسلوبية – تضاد مفارقة – موروث ديني (نص قرآني) مما جعل لها سمة أسلوبية واضحة .

الظواهر الأسلوبية المختلفة (التضمين – التضاد – التناص) جاءت معمقة للتجربة الساخرة ومؤكدة لها وموضحة معانيها، تبارى شعراء السخرية فيما بينهم، وشاع الظرف في الأبيات، وجاءت الظواهر الأسلوبية متمكنة في موضعها، مستقرة مع غيرها، محققة لعناصر الجودة والجمال في العمل الفني، ورغمًا عن انتشار الغلو والمبالغة في أساليب هذا العصر إلا أنهما جاءا في النصوص الواردة موضحين للمعنى مكثفين للدلالة محققين للهدف، ونجد أنهما جاءا في النصوص الواردة صاحبت الصورة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الجمالية الأعمال الساخرة –غالبًا – فثمة علاقة اتحاد بين السخرية وإجادة تصويرها، ولا غنى للأولى عن الأخيرة فهي توضحها وتجليها، ونلاحظ أن المقطوعات الشعرية غلبت على شعر السخرية وقد أطلق د عز الدين إسماعيل " مصطلح مقطوعات على الأبيات من ٢: ١٠ إن الفكرة المسيطرة على الشاعر ويريد التخلص منها غالبًا ما تكون فكرة واحدة تؤتى في عدة أبيات تعكس الصورة المتمثلة في ذهن القائل، قلة الأبيات تعكس الصورة المتمثلة في ذهن القائل، وتكثيف معانيها تتوافق مع البناء التركيبي المنتشر، فالأفكار الساخرة قائمة على الذيوع والانتشار وهو ما يتناسب مع المقطوعة إضافة إلى أن المقطوعة كبناء فنى كأن هو لسانه في تلك الآونة وهو ما يبرره بقوله " السبب في هذا البعد عن القصائد المطولة واختيار المقطوعات الصغيرة يرجع في رأيه ، أولا إلى طبيعة التطور الحضاري الذى آل إليه المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، فكلما تعقدت أسباب الحضارة وطرائق الحياة تسرب الملل إلى نفوس الناس من الأعمال الكبيرة المطولة، ولم يعد لديهم لا الاستعداد ولا الوقت الذي يتيح لهم أن يقفوا .. ليستمعوا إلى قصيدة طويلة ، قد يستغرق إلقاؤها ساعة أو بعض ساعة ، والسبب الثاني عنده يكمن في قوله " إن الشاعر أصبح يمد قصيدته بفكرة معينة، فلم تكن هذه الفكرة تستغرق منه في الغالب أكثر من أبيات محدودة، كما يضيف سببًا ثالثًا وهو تأثير الغناء الذي يفرض طبيعته على الشعراء أن يقتصر شعرهم على المقطوعات الصغيرة دون غيرها حتى يمكن تقديمها في إطار موسيقى جذاب، وحتى تتواءم معانيها المباشرة مع ما يطلبه الغناء من تأثير سريع وتطريب "

فالأبيات التي ملأت ظرفًا غالبًا ما تكون قطعة ليست طويلة، وكأن الشاعر استفرغ مراده فيها فعزف عن الإطالة، وزهد في الاسهاب "ويبقى أن نلاحظ استفاضة شكل المقطوعة الشعرية التي تتراوح بين اثنين والعشرة، وهذا إطار محدود وضيق يعبر فيه الشاعر أحيانًا عن خاطر راوده أو شعور جاد في لحظة من اللحظات، أو معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه دون أن يتوسع فيه أو يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة [١]، وهذا الرأي يتوافق مع منجزات الأدب في تلك الفترة إضافة إلي أن الفكرة تبدأ وتتبلور وتنتهي في أبيات قليلة وهي غالبًا أحادية فلا مبرر لإطالة وإسهاب لا مردود له بل قد يعد تكرار مقيت.

الموسيقى

الموسيقى: في السخرية تنوعت بين صاخبة هادرة، وبين هادئة منسابة فالمعنى والتجربة الشعورية هي المنتخبة للوزن والمحددة للإيقاع، فهناك انسجام صوتي بين الكلمات والوزن الملضومة فيه " قال د إبراهيم عبد الرحمن محمد الموسيقى الداخلية هي " هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حينًا أو بين الكلمات بعضها وبعض حينًا أخر، أو قل هي الانسجام الصوتي الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم وجودة الوصف [٢]

والموسيقى الداخلية أشاعت نغمًا وأكسبت النص الأدبي شعرًا ونثرًا إيقاعًا حاكمًا مريحًا تتوقعه الأذن وتتلقفه الأسماع لما له من بعد أو تأثير وتشد إليه السامع والقارئ، وهى تتمثل في الإيقاع الباطن الذي تحسه ولا

(١) في الشعر العباسي الرؤية والفن صـ ٣٩٤ المكتبة الأكاديمية ، ط ١، ١٩٩٤
(٢) قضايا الشعر في النقد العربي صـ٥١ ج١، مكتبة الشباب ١٩٧٧

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تراه أو تدركه، ولا تستطيع أن تقبض عليه، ويكمن في تعادل النغم عن طريق تكرارها حينًا، أو عن طريق استعمال حروف مهموسة أو مجهورة تتساوى مع الإطار الموسيقي العام للقصيدة "[١] وهو ما حدث في الأمثلة الواردة في البحث إذ أن الإيقاع الشعري أو النثري انساب في النص وأحدث أريحية سمعية مشوقة ملموسة.

ومن سمات السخرية في زهر الآداب تعددت سماتها ، وتنوعت ملامحها وحازت كثير من الخصال لتميز أدبائها وسعة ثقافتهم، وتنوع معارفهم .

توظيف التراث: إن استلهام التراث شغل الكثيرين حتى إن القدامى تحدثوا فيه يقول ابن رشيق القيرواني(فأما التضمين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتى به في آخره أو في وسطه كالمتمثل "[٢] وجعلوا له درجات فمنه الجيد والحسن والرديء ، كما اهتم به المحدثون، وأطلقوا عليه أسماء مختلفة : تداخل النصوص والنصوص المتداخلة، التناص، وكلها تؤدى المعنى، وأثنى المحدثون على التناص في النص وقالوا إنه يضفي بهاء، وأن صاحبه أجاد توظيفه وكأنه يعيده للحياة، وهو هنا تناص خارجى " يحصل التناص الخارجي بالتقاء النص الحاضر وتقاطعه مع نصوص أخرى فيتحاور مع غيره من النصوص السابقة أو المعاصرة له "[٣] وهو ما حدث مع كثير من شعر السخرية فالمعاني ومحاور التهكم اطاراتها معروفة، لكن جديدها هو طريقة التناول فالنص حتما انساب إليه ومضات نصية سابقة

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور د صابر عبد الدايم صـ ٢٧
(٢) العمدة ج ٢ صـ ٨٤
(٣) ظاهرة التناص في الخطاب الشعري الحديث : مجلة علوم اللغة العربية وآدابها صـ ١٦٥

تفاعلت وانصهرت، وأضفى عليها المبدع رؤيته فاستحالت شيئًا جديدًا جزئياته لكنه ملفوظ تركيبي جديد تحدد درجة جدته قياسًا بالقديم تبعًا للقدرة الفنية للمبدع أو ضعفها .

لذا فشعراء السخرية نهلوا من عذب التراث الصافي وتمثلوا صوره وألفاظه ومعانيه وضمنوا صياغته وتراكيبه المختلفة أشعارهم .

= أذكرتني بيتا لحسان فيه حرق للفؤاد حين أقوم

= لو يدب الحولي من ولد الذر رِعليها لأندبتها الكلوم

وقد رصدت بعض أوجه الاتفاق في معاني السخرية المستخدمة شعرًا ونثرًا مما يدل على أن المعاني تنتخب ألفاظها ويتكاتف اللفظ مع المعنى في تحديد المطلوب وتوضيحه، لذا اخترت نموذجين فقط من النماذج المرصودة الواردة بالكتاب لتوصيل الفكرة، ولمنع التكرار الباعث على الملل والسأمة .

والسخرية تبعث على الضحك وتؤدي – غالبًا – إليه وكانوا يشجعون على المزح والضحك وجرعات السخرية في زهر الآداب ليست بالقليلة الندرة، ولا بالكثيرة المشاعة، ولم يقصد إليها الحُصْري، وإنما جاءت ضمن منهجه التأليفي من إثبات متخير عصره والعصور السابقة مما اتسم بالجدة والطرافة والإبداع الأدبي .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أهم المصادر والمراجع

أولاً المصادر

- السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري د نعمان أحمد أمين طه ، ط١ دار التوفيقية
- البخلاء للجاحظ ت د طه الحاجري ، دار المعارف ١٩٩٠ القاهرة
- بنية السخرية والمفارقة بين التكرار والحذف في مقالات جلال عامر ، آيات سليمان عبد الفتاح البربري ج القاهرة ، ك الآداب ٢٠١٦ إشراف سليمان عبد العظيم العطار ، عزة شبل محمد .
- بين الأدب والنقد د محمد رجب البيومي الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٧
- التناص في شعر إلياس أبو شبكة يوسف العايب ، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الحاج الخضر ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧
- التناص وأسلوبية الحضور والغياب ، برونة محمد
- جحا الضاحك المضحك ، عباس العقاد
- خصائص السخرية في أدب الجاحظ ، نسيمة راشد ناصر ، رسالة ماجستير ج القاهرة ا . د سهير القلماوى
- خطاب المفارقة فى الأمثال العربية مجمع الأمثال للميداني نموذجًا نوال بن صالح ، كلية الآداب واللغات بسكرة – الجزائر –٢٠١٢
- زهر الآداب وثمار الألباب أبي إسحاق إبراهيم بن على الحُصْري القيرواني
- السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، عبد الخالق عبد الله عودة عيسى، الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ١٩٨٢

- سيكولوجية الضحك أحمد عطية الله ، عيسى الحلبي بمصر ١٩٤٨
- سيكولوجية الفكاهة والضحك ، د زكريا إبراهيم
- شعر السخرية فى العصر العباسي الثاني موضوعاته وقيمه الفنية رسالة دكتوراة إسماعيل محمود محمد محمد ،ج القاهرة إشراف – السيد علـــى حسن عثمان عبد الرحمن ٢٠٠٠
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي عباس العقاد .
- ظاهرة التناص في الخطاب الشعري الحديث : مجلة علوم اللغة العربية وآدابها
- العقد الفريد ابن عبد ربه ج ٦
- العمدة ابن رشيق القيروانى ج ٢
- الفكاهة فى مصر شوقي ضيف ، كتاب الهلال ١٩٥٨.
- الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها ، د أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ١٩٦٦
- فن السخرية في أدب الجاحظ د نشأت العناني
- في الشعر العباسي الرؤية والفن ، المكتبة الأكاديمية ، ط ١، ١٩٩٤
- قضايا الشعر في النقد العربي ج١، مكتبة الشباب ١٩٧٧
- المفارقة والأدب دراسات في النظريـــة والتطبيـــق خالـــد ســـليمان ، دار الشروق والنشر والتوزيع ١٩٩٩
- المفارقة وصفاتها دي سي ميويك ، ت عبد الواحد لؤلؤة ، بيـــروت ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٣
- موسوعة المصطلح النقدي المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويـــك ، ت ، عبد الواحد لؤلؤة بيروت ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور د صابر عبد الدايم

The most important sources and references

First, the sources

- The Cheap ness of the protruding T.D. Taha Al-Hajjiri, House of Knowledge 1990 Cairo
- The structure of irony and the paradox between repetition and deletion in the articles of Jalal Amer, verses of Suleiman Abdel Fattah al-Berber c Cairo, k literature 2016 supervised by Suleiman Abdul Azim Al-Attar, Azza Shabelle Mohammed.
- Between Literature and Criticism By Mohammed Rajab Al-Bayoumi Egyptian-Lebanese House 1997
- The Poetry of Elias Abu-Mesha Youssef Al-Ayib, Memorandum for the Master's Degree in The Faculty of Arts and Humanities, Hajj Al-Khader 2006, 2007
- The dissonance in the poetry of Elias Abu Mesha quoting Jalal Amer's message
- The dissonance and style of attendance and absence, Bruna Mohammed
- Juha The Funny Laugher, Abbas Akkad
- The characteristics of sarcasm in the literature of al-Jahiz, Naseema Rashid Nasser, Master's Thesis C Cairo A. Dr. Suhair Al-Qalamaoui
- The discourse of irony in the Arab proverbs, the complex of proverbs for the field model Nawal Ben Saleh, Faculty of Arts and Languages in Biskra - Algeria - 2012
- The discourse of irony in the Arab proverbs, the parables of the field as a model

•The blossom of literature and the fruits of the albab Abu Ishaq Ibrahim Ibn Ali al-Exclusive Kairouani

•Sarcasm in Arabic Literature By Noman Ahmed Amin Taha, i1 Dar al-Tawfiqa

•Sarcasm in Abbasid poetry in the 2nd and 3rd centuries Hijri, Abd al-Khaleq Abdullah Odeh Issa, Graduate Studies, University of Jordan 1982

•The Psychology of Laughter Ahmed Attia Allah, Issa al-Halabi, Egypt, 1948

▸Psychology of Humor and Laughter, D Zakaria Ibrahim

•Poetry of ridicule in the Second Abbasid era its themes and artistic values the message of Dr. Ismail Mahmoud Mohammed Mohammed, C Cairo Supervision - Mr. Ali Hassan Osman Abdel Rahman 2000

•Egypt's poets and their environments in the last generation Abbas Akkad, speaking about Hafni Nasif

The phenomenon of dissonance in modern poetic discourse: The Journal of Arabic Language Sciences and Literature

▸Unique Contract C6

▸Mayor C2

•Humor in Egypt Shawky Guest, Book of The Crescent 1958 .

▸Humor in Literature Origins and Types, Dr. Ahmed Al-Hofi, House of Renaissance Egypt 1966

•The art of ridicule in the literature of the protégé d I grew up anani

•In Abbasid Poetry Vision and Art, Academic Library, i1, 1994

•Poetry Issues in Arab Criticism C1, Youth Library 1977

►•Paradox and Literature Studies in Theory and Practice Khaled Suleiman, Dar Al Shorouk Publishing and Distribution 1999

►Paradox And Its Recipes DC Mewick, T. Abdul Wahid Pearl, Beirut I1 Arab Foundation for Studies and Publishing 1993

•Encyclopedia of the paradoxical monetary term and its recipes, DC Mewick, T, Abdul Wahid Pearl of Beirut, i1, Arab Foundation for Studies and Publishing .

•Music of Arabic poetry between stability and development Dr. Saber Abdel Dayem.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٢٨٢٧
٢-	Abstract	١٢٨٢٨
٣-	المقدمة	١٢٨٢٩
٤-	توطـــــئة : التعريف بالكتاب والكاتب	١٢٨٣١
٥-	المبحث الأول: السخرية	١٢٨٤٢
٦-	المبحث الثاني : أنماط السخرية فى الشعر	١٢٨٥٣
٧-	المبحث الثالث :	١٢٨٧٦
٨-	الخاتمة	١٢٩١٠
٩-	أهم المصادر والمراجع	١٢٩١٦
١٠-	فهرس الموضوعات	١٢٩٢١